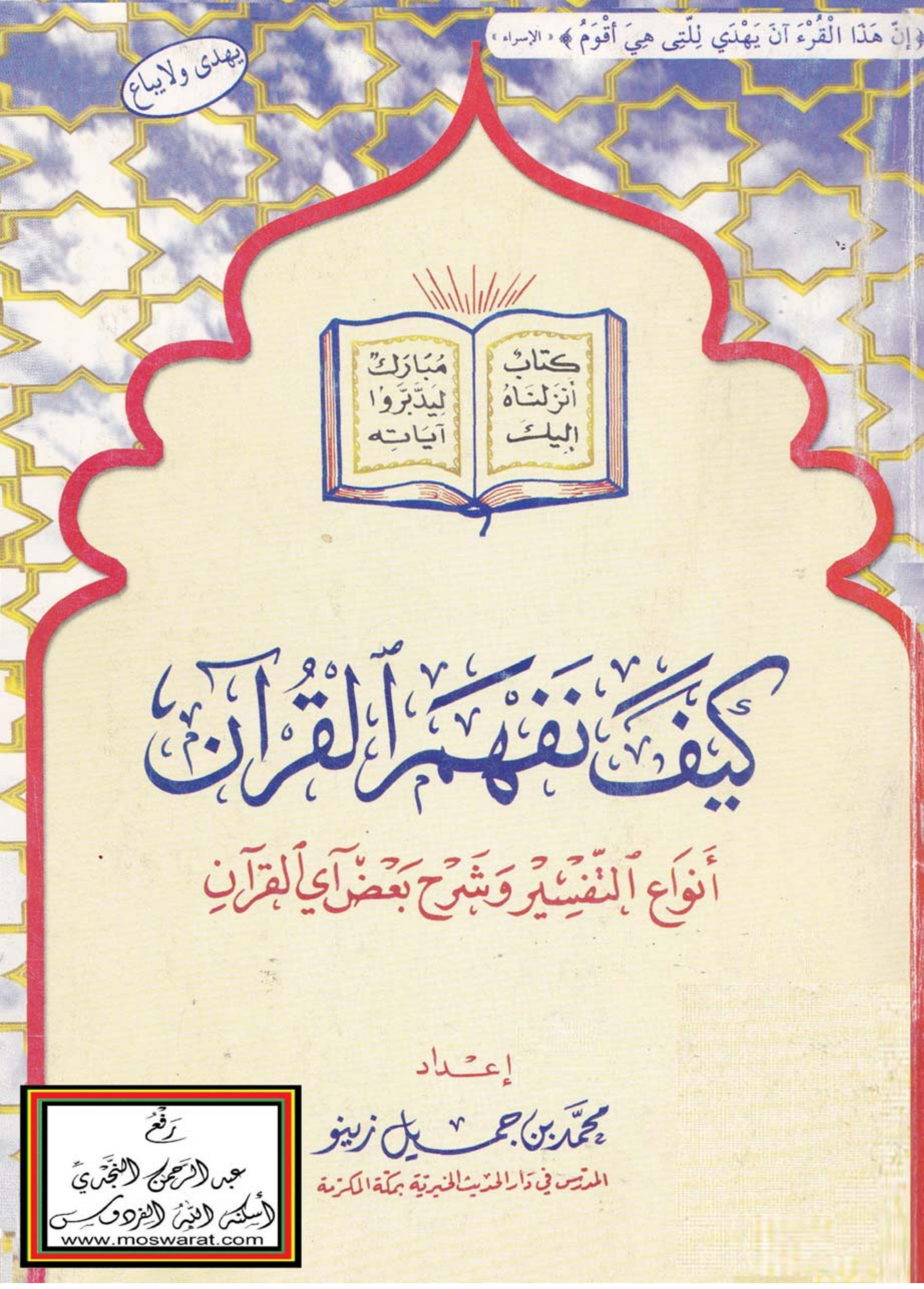


﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ «الإسراء»
يهدى ولا يباع
كتابٌ أنزلناهُ إليكَ مُبارَكٌ ليَدَّبَّرُوا آياتِه
كيف نفهم القرآن
أنواع التفسير وشرح بعض آي القرآن
إعداد
محمد بن جميل زينو
المدرس في دار الحديث الخيرية بمكة المكرمة
رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾



كيف نفهم القرآن

أنواع التفسير وشرح بعض آي القرآن

إعداد
محمد بن جميل زينو
المدرس في دار الحديث الخيرية بمكة المكرمة

الطبعة السادسة مزيدة ومنقحة


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

كيف نفهم القرآن

أنواع التفسير وشرح بعض آي القرآن

سمحت بطبعه مديرية المطبوعات

ص.ب : ٦٠١

إذا أردت أن يكون لك الأجر في حياتك وبعد موتك ، فاطبع هذا الكتاب ، أو ساهم في طبعه ، واتصل بالمؤلف ليساعدك على الطبع بأرخص سعر ممكن ويرسل لك نسخة مزيدة ومنقحة .

هاتف البيت : ٥٥٦١٨٢٧ مكة



موجز
كيف نفهم القران

١ ـ التفسير وتوابعه .
٢ ـ تفسير القرآن بالقرآن .
٣ ـ تفسير القرآن بالحديث الصحيح .
٤ ـ تفسير القرآن بأقوال الصحابة .
٥ ـ تفسير القرآن بأقوال التابعين .
٦ ـ تفسير القرآن باللغة العربية .
٧ ـ معرفة الاستنباط وأسباب النزول .
٨ ـ معرفة الناسخ والمنسوخ .
٩ ـ القرآن المكي والمدني .
١٠ ـ خصائص القرآن المكي والمدني .
١١ ـ فوائد العلم بالمكي والمدني .
١٢ ـ متى نعمل بالقرآن المكي والمدني .
١٣ ـ نزول القرآن مفرقا والحكمة منه .
١٤ ـ الأمثلة على نزول القرآن بالتدريج .

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد فإن الله تعالى أنزل القرآن الكريم للناس ، ليفهموه ، ويتدبروه ، ويعملوا به : قال الله تعالى :

﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ، وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ ﴾ . [ص : ٢٩]

وقد يسر الله فهمه لمن أراد الانتفاع به ، قال الله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ، فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ . [القمر ١٧]

وقد أنزله الله باللغة العربية ليعقله العرب ، ويؤمنوا به ، ويبلغوه إلى بقية الأمم ، قال الله تعالى :

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُم تَعقِلُونَ ﴾ . [يوسف ٢]

وفهم القرآن يحتاج للاطلاع على تفسيره أحياناً ، ولا سيما بعض الآيات التي تحتاج إلى تفسير وتوضيح .

وإني أذكر للقارىء بعض أنواع التفسير التي تساعد على فهم القرآن وتفسيره ؛ ثم أذكر له تفسير بعض الآيات المجملة التي تتطلب التفسير والبيان متوخياً ذكر الراجح من أقوال المفسرين مع ذكر الدليل أحياناً .

والله أسأل أن ينفع به المسلمين ، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم .

محمد بن جميل زينو



تفسير القرآن بالقرآن

إن تفسير القرآن بالقرآن هو أعلى أنواع التفسير ، فالقرآن يفسر بعضه بعضاً .

١ ـ مثال ذلك قوله تعالى :

﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ، ومآ أَدرَاكَ مَا الطَّارِقُ ، النَّجمُ الثَّاقِبُ ﴾ .

[سورة الطارق ١ ـ ٣]

[**فالنجم الثاقب**] تفسير لكلمة [**الطارق**] .

٢ ـ ومثال آخر : وهو قول الله تعالى :

﴿ يَسئَلُونَكَ عَنِ الخَمرِ وَالمَيسِرِ قُل فِيهِمَا إِثمٌ كَبِيرٌ ومَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثمُهُمَا أَكبَرُ من نَّفعِهِمَا ﴾ . [سورة البقرة ٢١٩]

فقد جاء في آية أُخرى تحريم الإثم مطلقاً وهي قوله تعالى :

﴿ قُل إِنَّمَا حَرَّمَ رَبيَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثمَ وَالبَغيَ بغير الحق ﴾ .

[سورة الأعراف ٣٣]

والإثم يتناول كل معصية يتسبب عنها الإثم ، وقيل هو الخمر خاصة ، ومنه قول الشاعر :

شربت الإثم حتى ضل عقلي ... كذاك الإثم تذهب بالعقول

وليس في إطلاق الإثم على الخمر ما يدل على اختصاصه به . فهو أحد المعاصي التي يصدق عليها .

وقال في الصحاح : وقد يُسمى الخمر إثماً . [انظر فتح القدير للشوكاني ج٢/ ٢٠٠]

٣ ـ ومثال آخر قول الله تعالى :

﴿ أَلَا إن أَولِيَاءَ الله لَا خَوفٌ عَلَيهِم وَلَا هُم يَحزَنُونَ ﴾ . [يونس ٦٢]

فقد فسر الأولياء بقوله : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ . [يونس ٦٣]

أقول : وفي هذا التفسير رد على القائلين :

بأن الولي : هو الذي يعلم الغيب أو تكون له كرامات ، أو له قبة على قبره أو غير ذلك من الاعتقادات الباطلة .

فكل مؤمن بالله يطيع أوامره ، ويتقي محارمه فهو من أولياء الله ، والكرامة ليست شرطاً فقد تظهر ، وقد تختفي .

وقد تظهر بعض الأمور الغريبة على يد بعض الصوفية والمبتدعة وهذا من السحر الذي قال الله عنه :

﴿ يُخَيَّل إليه مِن سِحرهم أنها تسعى ﴾ . [سورة طه ٦٦]

وقد ظهرت مثل هذه الأمور على يد المجوس في الهند وغيرها .

٤ ـ ومثال آخر : عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال :

لما نزلت : ﴿ الذين آمنوا ولم يَلبِسوا إيمانهم بظلم ﴾ . [الأنعام ٨٢]

شق ذلك على المسلمين ، قالوا : أينا لا يظلم نفسه ؟ فقال رسول الله ﷺ : ليس ذلك ، إنما هو الشرك ألم تسمعوا قول لقمان لابنه :

﴿ يا بُني لا تُشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ﴾ . [متفق عليه]

قال الحافظ في الفتح : (لم يلبسوا : أي لم يخلطوا) .

ومن فوائد الآية والحديث : أن درجات الظلم تتفاوت ، وأن المعاصي لا تسمى شركاً ، وأن من لم يشرك بالله شيئاً فله الأمن وهو مهتد . [ذكره الحافظ في الفتح]

٥ ـ قال الله تعالى : ﴿ إنَّ الإنسانَ خُلقَ هَلُوعَاً ﴾ . [المعارج ١٩]

جاء تفسيرها : ﴿إذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعَاً ، وإذا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعَاً﴾ [المعارج٢٠-٢١]

٦ ـ وقال الله تعالى : ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ من ربِّه كَلمَات فَتَابَ عليه . . ﴾ . [البقرة ٣٧]

جاء تفسير الكلمات في قوله : ﴿ قالا ربَّنَا ظَلَمْنَا أنفُسَنا . . ﴾ . [الأعراف ٢٣]

٧ ـ وقال الله تعالى : ﴿ وكُنْتُمْ أزْوَاجاً ثَلاثة ﴾ . [الواقعة ٧]

جاء تفسير الأزواج الثلاثة في قوله تعالى : ﴿ فأَصْحَابُ المَيْمَنَة ما أَصْحَابُ المَيْمَنَة ، وأَصْحَابُ المَشْأَمَة ما أَصْحَابُ المَشْأَمَة ، والسَّابقُونَ السَّابقون ﴾ [البقرة ٣٧]

* * * * *

تفسير القرآن بالحديث الصحيح

إن تفسير القرآن بالحديث الصحيح مُهمٌّ جداً لأن الرسول ﷺ أعلم بمراد الله من غيره من الناس جميعاً . فهو كما قال الله تعالى عنه :

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَىٰ ، إن هُوَ إلَّا وَحيٌ يُوحَى ﴾ . [النجم ٣-٤]

وقد أنزله الله عليه ليُبينه للناس ، قال تعالى :

﴿ وَأَنزَلنَا إلَيكَ الذِّكر لِتُبَيِّنَ للنَّاسِ مَا نُزِّلَ إليهِم وَلَعَلَّهُم يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل ٤٤]

وقال ﷺ : «ألا وإني أُوتيتُ القرآنَ ومثله معه» . [صحيح رواه أبو داود]

١ ـ مثال ذلك قول الله تعالى :

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا استَطَعتُم مِن قُوَّةٍ ﴾ . [الأنفال ٦٠]

فتفسير [القوة] ورد في قوله ﷺ : «ألا إن القوة الرمي (ثلاثاً)» . [رواه مسلم]

قال القرطبي : إنما فسر القوة بالرمي وإن كانت القوة تظهر بإعداد غيره من آلات الحرب لكون الرمي أشد نكاية في العدو ، وأسهل مؤنة ، لأنه قد يرمي رأس الكتيبة فيهاب فينهزم مَن خلفه . [ذكره الحافظ في الفتح]

أقول : حتى الآن فإن آلات الحرب الحديثة يتوقف مفعولها على الرمي ، لذلك حث الإسلام على تعلمه ولا سيما للشباب . وليتهم تعلموه مع السباحة بدلاً من تعلمهم بقية الألعاب التي شغلتهم عنه . قال رسول الله ﷺ :

«مَن عِلم الرمي ثم نسيه فليس منا أو قد عصى» . [رواه مسلم]

ومرَّ النبي ﷺ على نفر من أسلم ينتضلون فقال النبي ﷺ :

«ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً . ارموا وأنا مع بني فلان . قال فأمسك أحد الفريقين بأيديهم فقال رسول الله ﷺ : مالكم لا ترمون ؟ قالوا كيف نرمي وأنت معهم ؟ قال النبي ﷺ : «ارموا وأنا معكم كلكم» . [رواه البخاري]

٢ ـ قال الله تعالى : ﴿ وقالَ ربُكُمُ ادعوني أستجبْ لكم ، إنَّ الَّذينَ يَستكْبرون عن عبادتي سيَدخلونَ جهنم داخرين ﴾ [عبادتي : دعائي] [غافر ٦٠]

وقد فسَّر النبي ﷺ العبادة فقال : (الدُّعَاءُ هو العبادة) . [رواه الترمذي وقال حسن صحيح]

٢ ـ ومثال آخر قوله تعالى :

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ . [يونس ٢٦]

فقد فسر النبي ﷺ الزيادة بالنظر إلى وجه الله تعالى حينما قال :

«فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ثم تلا هذه الآية : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ » [رواه مسلم]

٣ ـ ومثال آخر في قول الله تعالى :

﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ . [سورة القلم ٤٢]

فقد ذكر البخاري في كتاب التفسير عند تفسير هذه الآية الحديث الآتي :

قال رسول الله ﷺ : **«يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ، ويبقى مَن كان يسجد في الدنيا رياءً وسُمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً»** .

[باب يوم يكشف عن ساق ج٦/٧٢]

ولا يلزم منه تشبيه ولا تجسيم ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾ فأهل السنة والجماعة يثبتون ما أثبت الله لنفسه كاليدين والوجه والسمع والبصر ، وما أثبته رسول الله ﷺ كالساق والأصابع والقدم على ما يليق بجلاله ولا نعلم كيفيتها .

موقف الحديث من القرآن

١ـ أن يكون الحديث موافقاً لما جاء في القرآن الكريم ، فيكون توارد القرآن والحديث من باب توارد الأدلة وتضافرها : كالأمر بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة وصوم رمضان ، وحج البيت، وكذلك النهي عن الشرك بالله، وشهادة الزور ، وعقوق الوالدين ، وكذلك الجهاد في سبيل الله ، وغير ذلك .

٢ـ أن يأتي الحديث مبيناً لما جاء في القرآن الكريم وتفصيلاً له : كتفصيل مواقيت الصلاة ، وعدد ركعاتها ، وبيان مقادير الزكاة وأوقاتها ، والأموال التي تزكى، و كذلك أحكام الصوم، ومناسك الحج، وغير ذلك مما جاء مجملاً في القرآن.

٣ـ أن يأتي الحديث مثبتاً لحكم سكت عنه القرآن : كتحريم الجمع بين المرأة وعمتها ، أو خالتها ، وأكل كل ذي ناب من السباع ، أو ذي مخلب من الطير وغير ذلك من الأحكام التي شرعت بالسنة وحدها .

٤ـ تقييد الحديث مطلق القرآن : كبيان موضع القطع من يد السارق .

٥ـ تخصيص الحديث لعام القرآن: كمقدار الذي يجب القطع فيه من السارق .



تفسير القرآن بأقوال الصحابة

إن تفسير الصحابة رضي الله عنهم . كابن عباس وابن مسعود وغيرهما مُهِم ، لأنهم صحبوا رسول الله ﷺ وتعلموا منه .

١ ـ مثال ذلك قول الله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنِ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ . [طه ٥]

قال الحافظ في الفتح ما يلي : ونقل مُحي السنة البغوي في تفسيره عن ابن عباس وأكثر المفسرين أن معناه [ارتفع] .

ثم نقل قول أم سلمة وربيعة ومالك وغيرهم :

الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإقرار به إيمان ، والجحود به كفر . [ج١٣/٤٠٦]

٢ ـ مثال آخر في قول الله تعالى : ﴿ أَوْ لامَسْتُمُ النِسَاء ﴾ . [النساء ٤٣]

فقد نقل ابن كثير في تفسيره عن ابن عباس قال : الجماع .

وقال ابن عباس أيضاً : اللمس والمسُ والمباشرة : الجماع ، ولكن الله يُكني بما يشاء .

وقال ابن كثير : وقد صح من غير وجه عن عبدالله بن عباس أنه قال ذلك .

ثم ذكر قول ابن مسعود قوله : اللمس : ما دون الجماع .

ثم ذكر ابن كثير قول ابن جرير :

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال عنى الله بقوله :

﴿ أو لامستم النساء ﴾ الجماع دون غيره من معاني اللمس لصحة الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قبَّل بعض نسائه ثم صَلى ولم يتوضأ . [ابن كثير ج١/٥٠٢]

ملحوظة : إذا تعارض تفسير الحديث لآية مع تفسير صحابي أو تابعي ، فعلينا أن نوفق بين التفسيرين ، وإن لم يمكن فالواجب أن نقدم تفسير الرسول ﷺ على تفسير غيره مهما كان ، لأن الرسول ﷺ أعلم بمراد الله من غيره ، فهو الذي لا

ينطق عن الهوى ، ولأن الله تعالى يقول :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتُقدِّموا بين يدَيِ الله ورسوله ﴾ . [الحجرات ١]

(أي لا تُقدِّموا قولاً أو فعلاً) . [ذكره ابن كثير]

مثال ذلك قول الله تعالى : ﴿ يَوم يُكشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ . [سورة القلم ٤٢]

فقد فسرها البخاري بالحديث :

«يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة . . .» . [متفق عليه]

وجاء في رواية عن ابن عباس في تفسير الآية قال :

هو يوم كرب وشدة(١) . [ذكره ابن كثير]

فإن صح النقل عنه فلا يتعارض مع الحديث الذي فسر الآية بالساق لله تعالى من غير تشبيه ، فيكشف ربنا عن ساقه يوم القيامة ، وهو يوم كرب وشدة .

ويمكن أن يقال : إن ابن عباس لم يبلغه حديث أبي سعيد الخدري الذي فسر الآية ، كما ثبت في الصحيح أن أبا موسى حين استأذن على عمر ثلاثاً فلم يؤذن له انصرف ثم قال عمر : ألم أسمع صوت عبدالله بن قيس يستأذن ؟ ائذنوا له ، فطلبوه فوجدوه قد ذهب ، فلما جاء بعد ذلك قال : ما أرجعك ؟ قال : إني استأذنت ثلاثاً ولم يُؤذَن لي ، وإني سمعت النبي ﷺ يقول :

«إذا استأذن أحدكم ثلاثاً ولم يُؤذن له فلْينصرف» .

فقال عمر : لتأتيني على هذا ببينة وإلا أوجعتك ضرباً ، فذهب إلى ملأ من الأنصار فذكر لهم ما قال عمر ، فقالوا : لا يشهد لك إلا أصغرنا ، فقام معه أبو سعيد الخدري فأخبر عمر بذلك فقال :

ألهاني عنه الصفق بالأسواق . [متفق عليه]

وقال ابن عباس حينما قيل له :

إنَّ أبا بكر وعمر حجَّا مفردَين ، فقال :

أُراهم سيهلكون ، أقول : قال رسول الله ، ويقولون : قال أبو بكر وعمر !! .

[صححه أحمد شاكر]

---

(١) ضعف قول ابن عباس (سليم الهلالي) في كتابه (المنهل الرقراق) لاضطرابه .

تفسير القرآن بأقوال التابعين

إن تفسير القرآن بأقوال التابعين رحمهم الله مُهِم أيضاً لأنهم أخذوا عن الصحابة الذين أخذوا عن رسول الله ﷺ .

قال مجاهد بن جبر : « لقد عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات، أقف عند كل آية أسأله فيم نزلت، وفيم كانت ؟ »

وكذلك سعيد بن جبير، وعكرمة مولى ابن عباس، وعطاء بن رباح والحسن البصري، ومسروق بن الأجدع ، وسعيد بن المسيب وقتادة ، والضحاك عن مزاحم ، وغيرهم من التابعين .

١ ـ مثال ذلك ما ذكره البخاري في كتاب التوحيد : [ج٨/١٧٥]

قال أبو العالية : ﴿ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَآءِ ﴾ . [البقرة ٢٩]

(أي ارتفع) .

وقال مجاهد : استوى : (علا على العرش) . [ج٨/١٧٥]

وقد فسرها الطبري بالعلو بعد أن ذكر أقوالاً كثيرة حيث قال :

وأولى المعاني في قول الله عز وجل : ﴿ ثم استوى إلى السماء ﴾ :

علا تبارك وتعالى عليهن فدبرهن بقدرته وخلقهن سبع سمٰوات .

ونقل الطبري عن الربيع بن أنس :

﴿ ثم استوى إلى السماء ﴾ يقول (ارتفع إلى السماء) . [تفسير الطبري ج٨/١٧٥]

٢ـ قال الله تعالى: ﴿ وفاكهةً وأَبّـاً ﴾ [سورة عبس]

قال الضحاك: كل شيء أنبتته الأرض سوى الفاكهة فهو :

[الأبُّ : الكلأ ، وهو الحشيش الذي تأكله البهائم].





تفسير القرآن باللغة العربية

التفسير باللغة العربية مهم لقول الله تعالى :

﴿ إِنَّا أَنزَلناهُ قُراءناً عَرَبياً لعَلَّكُم تَعقِلُونَ ﴾ . [يوسف ٢]

١ ـ مثال ذلك ما نقله الحافظ في الفتح عن ابن بطال قال :

اختلف في الاستواء المذكور هنا أي في آية : ﴿ ثم استوى إلى السماء ﴾ . [البقرة ٢٩]

فقالت المعتزلة : معناه الاستيلاء بالقهر والغلبة ، واحتجوا بقول الشاعر :

قد استوى بِشر على العراق   من غير سيف ودم مهراق

ثم رد هذا القول حيث قال : فأما قول المعتزلة فإنه فاسد لأنه لم يزل قاهراً غالباً مستولياً سبحانه وتعالى ؛ وذكر أقوالاً عديدة ثم قال :

وأما تفسير استوى : علا فهو صحيح وهو المذهب الحق وقول أهل السنة ، لأن الله سبحانه وتعالى وصف نفسه بالعلي . (أي الأعلى) .

وقال : ﴿ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ وهي صفة من صفات الذات .

[فتح الباري ج١٣/٤٠٦]

أقول : الصواب أن يقال : الاستواء من صفات الله الفعلية المتعلقة بذات الله . والله أعلم . [انظر شرح العقيدة الواسطية للهراس ص ٩١]

ثم ذكر الحافظ في الفتح قائلاً : وقد نقل أبو إسماعيل الهروي في كتاب الفاروق بسنده إلى داود بن علي بن خلف قال : كنا عند عبدالله بن الأعرابي يعني محمد بن زياد اللغوي فقال له رجل :

﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ فقال : هو على العرش كما أخبر قال يا أبا عبدالله إنما معناه استولى ، فقال اسكت ، لا يقال استولى على الشيء إلا أن يكون له مضاد .

وقال غيره : لو كان بمعنى استولى لم يختص بالعرش لأنه غالب على جميع المخلوقات . [ج١٣/٤٠٦]

****

والعجيب أن الأشاعرة أخذوا عن المعتزلة تفسير استوى بمعنى استولى ، وفشا هذا في بعض كتب التفسير والتوحيد وأقوال الناس ، فأنكروا العلو لله عز وجل كما دلت عليه الآيات والأحاديث الصحيحة وأقوال الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين ؛ حتى خالفوا اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم .

ورحم الله ابن القيم حين قال : لقد أمر الله اليهود أن يقولوا [حطة] فقالوا حنطة تحريفاً وأخبرنا الله سبحانه وتعالى أنه ﴿ استوى ﴾ على العرش فقال المتأولون : استولى ، فانظر ما أشبه لامهم التي زادوها بنون اليهود التي زادوها .

[انظر القصيدة النونية لابن القيم]

٢ ـ ومن التفسير باللغة العربية ما حكاه الله عن إبراهيم عليه السلام :

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾ . [الأنبياء ٥٢]

ومعنى التماثيل : الأصنام ، كما في تفسير فتح القدير للشوكاني .

حيث قال : والتماثيل : الأصنام ، وأصل التمثال الشيء المصنوع مشابهاً لشيء من مخلوقات الله سبحانه ، يقال مثّلت الشيء بالشيء إذا جعلته مشابهاً له ، واسم ذلك الممثَّل تمثال . [٤١١/٣]

والأصنام التي كان المشركون يعبدونها تمثل الأولياء ، والدليل :

أ ـ ذكر البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى :

﴿ وقالوا لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلَا سُوَاعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً ﴾ . [نوح ٢٣]

قال : صارت الأوثان التي تعبد في قوم نوح في العرب . . . . وهي أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد ، حتى إذا هلك أولئك ونُسخ العلم عُبدت (أي الأصنام) .

ومعنى : (نُسخ العلم) أي علم تلك الصور بخصوصها . [ج٧٣/٦]

ب ـ وذكر البخاري عن ابن عباس في قوله تعالى :

﴿ أَفَرَءَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴾ . [النجم ١٩]

قال كان (اللات) رجلاً يلت سويق الحاج . [ج٥١/٦]

أقول : ولذلك سماهم الله تعالى بالأولياء في كثير من الآيات ، منها :

قوله تعالى : ﴿ أَمِ اتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾ . [الشورى ٩]

ومن هذا التفسير المتقدم تعلم خطأ كثير من المسلمين الذين يزعمون أن المشركين الذين ورد ذكرهم في القرآن كانوا يدعون أصناماً من الحجارة وليسوا بأولياء ، وهذا خطأ لأن الأوثان والأصنام كانت تمثل رجالاً صالحين كما تقدم .

٣ ـ ومن التفسير باللغة العربية قول الله تعالى :

﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ . [محمد ١٩]

فالإله : معناه المعبود ، فيكون معناها : لا معبود إلا الله ، ولما كانت المعبودات من دون الله كثيرة : فالهندوس في الهند يعبدون البقر ، والنصارى تعبد المسيح ، وبعض المسلمين ـ مع الأسف الشديد ـ يعبدون الأولياء ويدعونهم من دون الله ، والحديث يقول : «**الدعاء هو العبادة**» . [رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح]

لذلك كان لابد من إضافة كلمة (حق) على التفسير ، فيصبح معناها : **لا معبود حق إلا الله** ، وبذلك خرجت جميع المعبودات الباطلة كلها . والدليل على هذا التفسير قوله تعالى :

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَاطِلُ ﴾ . [لقمان ٣٠]

ومن هذا التفسير لمعنى الإله يتبين خطأ كثير من المسلمين الذين ينكرون عُلُوَّ الله عز وجل فوق عرشه ، ويستدلون بقوله تعالى :

﴿ **وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله** ﴾ . [الزخرف ٨٤]

ولو عرفوا معنى الإله لما استدلوا بالآية ، لأن الإله معناه المعبود كما تقدم ، فيكون معناها : وهو الذي في السماء معبود وفي الأرض معبود .

علماً بأن آيات كثيرة تثبت عُلو الله على عرشه **منها** قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ . [الأعراف ٥٤]

[أي علا وارتفع] .

ومن الخطأ أيضاً ما يقوله كثير من الناس من أن معنى :

(لا إله إلا الله) لا خالق ولا رازق إلا الله ، لأن المشركين كانوا يعترفون بذلك ، ولكنهم يعلمون أن الإله معناه المعبود ، لذلك استكبروا عن قول : لا إله إلا الله كما قال الله تعالى عنهم :

﴿ إِنَّهُم كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُم لَا إِلَهَ إِلَّا الله يَستَكبِرُونَ ، وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجنُون ﴾ . [الصافات ٣٥]

٤ ـ ومما يساعد على التفسير معرفة قواعد اللغة العربية مما حقه التقديم والتأخير : مثال ذلك قول الله تعالى :
﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإياكَ نَسْتَعِينُ ﴾ . [الفاتحة ٥]
فقدَّم المفعول (إياك) مرة على الفعل (نعبد) ومرة على الفعل (نستعين) للحصر والاختصاص ، أي : لا نعبد إلا إياك ، ولا نستعين إلا بك يا الله ، ونخصك بالعبادة والاستعانة وحدك .

﴿ إياكَ نَعبد وإياكَ نستعين ﴾

قال ابن القيم في مدارج السالكين :
وسر الخلق والأمر ، والكتب والشرائع ، والثواب والعقاب انتهى إلى هاتين الكلمتين : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ وعليهما مدار العبودية والتوحيد ، حتى قيل :
أنـزل الله مائة كتاب وأربعة : جمع معانيها في التوراة والإنجيل والقرآن ، وجمع معاني هذه الكتب الثلاثة في القرآن . . . وجمع معاني القرآن في الفاتحة في :
﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ . [الفاتحة ٥]
[انظر مدارج السالكين لابن القيم باختصار]

من فوائد الآية

١ ـ إفراد الله بالعبادة : كالصلاة والطواف والحكم ودعاء الله لقول الرسول ﷺ :
(الدعاء هو العبادة) . [حديث حسن صحيح]
٢ ـ سؤال الله ، والاستعانة به ، ولا سيما فيما لا يقدر عليه غيره : كشفاء المرضى، وطلب الرزق والهداية وغيرها ، لقوله ﷺ :
(إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله) . [رواه الترمذي وقال حسن صحيح]

معرفة الاستنباط

الاستنباط : هو الفهم الدقيق المستنبط من معنى الآية :

١ ـ مثال ذلك قول الله تعالى :

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً ﴾ .

[النصر ١، ٢]

فقد نقل البخاري عن ابن عباس قال : كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر ، فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال : لِمَ تُدخل معنا هذا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه من حيث علمتم ، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم ، فما رؤيتُ أنه دعاني إلا ليريهم . قال ما تقولون في قوله تعالى : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ ؟ .

فقال بعضهم : أُمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نَصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً ، فقال لي : أكذاك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت : لا . قال : فما تقول ؟ قلت : هو أجلُ رسول الله ﷺ أعلمه له : قال :

﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ ، وذلك علامة أجلك .

﴿ فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً ﴾ .

فقال عمر : ما أعلم منها إلا ما تقول . [البخاري ج٦/٩٤]

٢ ـ ومثال آخر ما نقله ابن كثير عن الشافعي في قول الله تعالى :

﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم ٣٩]

أي كما لا يحمل عليه وزر غيره، كذلك لا يحصل له من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه .

ومن هذه الآية الكريمة استنبط الإمام الشافعي رحمه الله تعالى أن القراءة لا يصل إهداء ثوابها إلى الموتى ، لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم ، ولهذا لم يندب إليه رسول الله ﷺ أمته ، ولا حثَّهم عليه ، ولا أرشدهم إليه بنص ولا إيماء ، ولم يُنقل ذلك عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم ، ولو كان خيراً لسبقونا إليه ، وباب القربات يقتصر فيه على النصوص ، ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء .

فأما الدعاء والصدقة فذاك مجمع على وصولهما ومنصوص من الشارع عليهما .

وأما الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال :

قال رسول الله ﷺ :

«إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : من ولد صالح يدعو له ، أو صدقة جارية من بعده ، أو علم ينتفع به» .

فهذه الثلاثة في الحقيقة هي من سعيه وكده وعمله كما جاء في الحديث :

«إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه» .

[رواه الترمذي وأبو داود وصححه محقق جامع الأصول]

والصدقة الجارية كالوقف ونحوه هي من عمله ووقفه ، وقد قال تعالى :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَآثَارَهُمْ ﴾ . [يس ١٢]

والعلم الذي نشره في الناس فاقتدى به الناس بعده هو أيضاً من سعيه وعمله ، وثبت في الصحيح :

«من دعا إلى هُدى كان له من الأجر مثل أُجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً» . [انظر تفسير ابن كثير ج٤/٢٥٨]





معرفة أسباب النزول

إن معرفة أسباب النزول مما يساعد على فهم القرآن الكريم :

١ ـ مثال ذلك قول الله تعالى :

﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ، أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ . [الإسراء ٥٦،٥٧]

عن ابن مسعود قال : «**كان نفر من الإنس يعبدون نفراً من الجن فأسلم النفر من الجن فاستمسك الآخرون بعبادتهم فنزلت :**

﴿ **أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة** ﴾ . [متفق عليه]

قال الحافظ : استمر الإنس الذين كانوا يعبدون الجن على عبادة الجن ، والجن لا يرضون بذلك لكونهم أسلموا ، وهم الذين صاروا يبتغون إلى ربهم الوسيلة . وروى الطبري من وجه آخر عن ابن مسعود فزاد فيه (والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم) وهذا هو المعتمد في تفسير الآية . [فتح الباري ج٨/٣٩٧]

﴿ **يدعون** ﴾ يتضرعون إلى الله في طلب ما يقربهم إلى ربهم .

﴿ **يبتغون إلى ربهم الوسيلة** ﴾ يتقربون إليه بطاعته والعمل بما يرضيه .

﴿ **أيهم أقرب** ﴾ أيهم أقرب إلى الله بالأعمال الصالحة .

﴿ **يرجون رحمته ويخافون عذابه** ﴾ لا تتم العبادة إلا بالخوف والرجاء .

﴿ **إن عذاب ربك كان محذورا** ﴾ ينبغي أن يحذره العباد ويخافوه .

أقول : في هذه الآية ردٌّ على الذين يدعون غير الله من الأنبياء والأولياء ، ويتوسلون بذاتهم ولو توسلوا بإيمانهم بهم وحبهم لهم لجاز .

٢ ـ مثال آخر : عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : **لما نزلت :**

﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم** ﴾ . [الأنعام ٨٢]

قال أصحاب النبي ﷺ ، وأينا لم يظلم ؟ فنزلت :

﴿ لا تُشرك بالله إن الشرك لَظُلمٌ عظيم ﴾ . [لقمان ١٣] [رواه البخاري]

قال الحافظ في الفتح : [لم يلبسوا : لم يخلطوا] .

٣ ـ ومثال آخر : ما ذكره البخاري عن عروة قال :

خاصم الزبير رجلاً من الأنصار في شريج من الحرة فقال النبي ﷺ : «**اِسق يا زبير ، ثم أرسل الماء إلى جارك ، فقال الأنصاري : يا رسول الله أن كان ابن عمتك ، فتلوّن وجهه ثم قال : اِسق يا زبير ، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجَدر ، ثم أرسل الماء إلى جارك**» واستوعى النبي ﷺ للزبير حقه في صريح الحكم حين أحفظه الأنصاري ، وكان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة .

في شريج : مسيل الماء وينزل من الجبل إلى مكان اسمه (الحره) .

قال الزبير فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت في ذلك :

﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يُحكِّموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حَرَجاً مما قضيتَ ويُسلِّموا تسليماً ﴾ . [النساء آية ٦٥] [البخاري ج٥/١٨٠]

٤ ـ ومثال آخر : عن حذيفة :

﴿ وَأَنفِقُوا في سَبِيلِ الله وَلاَ تُلقُوا بأَيدِيكم إِلىٰ التَّهلُكَةِ ﴾ . [البقرة ١٩٥]

قال : نزلت في النفقة «أي في تركها» . [أخرجه البخاري]

في رواية أبي داود قال : غزونا من المدينة نريد القسطنطينية وعلى الجماعة عبدالرحمن بن خالد بن الوليد ، والروم ملصقوا ظهورهم بحائط المدينة فحمل رجل على العدو ، فقال الناس : مَه مَه .

لا إلٓه إلا الله ، يُلقى بيديه إلى التهلُكة !

فقال أبو أيوب الأنصاري : إنما أنزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما نصر الله نبيه ، وأظهر الإسلام قلنا : هلُم نقيم في أموالنا ونصلحها ، فأنزل الله عز وجل :

﴿ وأنفقوا في سبيل الله ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلُكة ﴾ . [البقرة : ١٩٥]

فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة : أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد .

قال أبو عمران : فلم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى دُفن بالقسطنطينية .

[رواه أبو داود بسند صحيح] [انظر جامع الأصول ج٢/٣٢]

معرفة الناسخ والمنسوخ

إن مما يساعد على فهم القرآن معرفة الناسخ والمنسوخ، ودليله قوله تعالى:

﴿ مَا نَنسخ مِن ءَايَةٍ أو نُنسِهَا نَأتِ بِخَيرٍ منهَآ أو مِثلِهَا ﴾ . [البقرة ١٠٦]

النسخ : هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر .

فالحكم المرفوع يسمى (المنسوخ) والدليل الرافع يسمى (الناسخ) ويسمى الرفع (النسخ) .

ويطلق الناسخ(١) على الله تعالى كهذه الآية ، ويطلق على الآية فيقال : هذه الآية ناسخة لآية كذا ، ويُطلق على الحكم النّاسخ لحكم آخر .

١ ـ مثال ذلك : عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال :

لما نزلت هذه الآية : ﴿ وعلى الذين يُطيقونه فِديةٌ طعامُ مسكين ﴾ . [البقرة ١٨٣]

كان من أراد أن يفطر يفتدي حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها .

وفي رواية حتى نزلت الآية :

﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهرَ فَليَصُمهُ ﴾ . [البقرة ١٨٤] [متفق عليه]

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قرأ :

﴿ وعلى الذين يُطيقونه فِدية طعامُ مسكين ﴾ . [البقرة ١٨٣]

قال هي منسوخة . [أخرجه البخاري]

وذهب ابن عباس الى أنها مُحكمة غير منسوخة .

روى البخاري عن عطاء أنه سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقرأ :

﴿ وعلى الذين يُطيقونه فِدية طعامُ مِسكين ﴾ ، قال ابن عباس : «ليست منسوخة هي للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة، لا يستطيعان أن يصوما فيُطعمان كل يوم مسكيناً» .

وليس معنى (يُطيقونه) على هذا يستطيعونه ، وإنما معناه يتحملونه بمشقة وكلفة .

(١) اطلاق الناسخ على الله فيه نظر ، لأن أسماء الله توقيفية .

٢ ـ ومثال آخر قوله تعالى : ﴿ وَإِن تُبدُوا مَا في أَنفُسِكُم أو تُخفُوهُ يُحاسِبكُم بِهِ الله ﴾ .
[البقرة ٢٨٤]

نسخت بقوله تعالى : ﴿ لا يُكَلفُ الله نفساً إلاَّ وُسعَهَا ﴾ . [البقرة ٢٨٦]

٣ ـ قوله تعالى : ﴿ وَاللاَّتي يَأتِينَ الفَاحِشَةَ مِن نِسائِكُم فَاستَشهِدُوا عَلَيهِنَّ أَربَعَةً مِنكُم ، فَإِن شَهِدُوا فَأَمسكُوهُن في البُيوتِ حَتىٰ يَتوَفَّاهُنَّ المَوتُ أَو يجعَلَ الله لهُن سَبيلاً ، وَالَّذانِ يَأتِيَانِهَا مِنكُم فآذُوهُما فَإِن تَابَا وَأَصلَحَا فَأَعرِضُوا عَنهُما ﴾ .
[النساء ١٥ ـ ١٦]

نسختا بآية الجَلْد للبكر في سورة النور :

﴿ الزَّانِيَةُ والزَّاني فَاجلِدُوا كُلَّ واحِدٍ مِنهُما مِائَةَ جَلدَةٍ ﴾ . [النور ٢]

بالجَلْد للبكر ، وبالرجم للثيِّب الوارد في السنة :

« . . البكر بالبِكر جَلد مائة ، ونفيُ سَنَة ، والثيِّب بالثيِّب جَلْد مائة والرجم» .
[رواه مسلم]

٤ ـ قوله تعالى : ﴿ إن يَكُن مِنكُم عِشرُون صَابرُون يَغلِبُوا مِائَتَين ﴾ . [الأنفال ٦٥]

نسخت بقوله : ﴿ ألآن خَففَ الله عنكُم وَعَلِم أَن فِيكُم ضَعفاً ، فَإِن يَكُن مِنكم مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغلِبُوا مِائَتَين ﴾ . [الأنفال ٦٦]

٥ـ قول الله تعالى: ﴿ قَدْ نَرىٰ تَقَلُّبَ وَجْهكَ في السَّماء، فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاها فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المسجد الحرام ﴾ [البقرة ١٤٤]

لمَّا قدم الرسول ﷺ المدينة صلَّىٰ نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان رسول الله ﷺ يحب أن يُحَوِّل نحو الكعبة فنزلت : ﴿ قد نرى تقلب وجهك . . الآية ﴾ فصرف إلى الكعبة .

الحكمة في النسخ

١ ـ مراعاة مصالح العباد .

٢ ـ تطور التشريع إلى مرتبة الكمال حسب تطور الدعوة ، وتطور حال الناس .

٣ ـ إبتلاء المكلف واختباره بالامتثال وعدمه .

٤ ـ إرادة الخير للأمة والتيسير عليها ، لأن النسخ إن كان إلى أشق ففيه زيادة الثواب وإن كان إلى أخف ففيه سهولة التيسير . [انظر مباحث في علوم القرآن للقطان]

القرآن المكي والمدني

إن مما يساعد على فهم القرآن وتفسيره معرفة القرآن المكي والمدني ، لذلك اهتم به الصحابة ومن بعدهم حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه :

«والله الذي لا إلّه غيره ما نزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت ؟ ولا نزلت آية من كتاب الله إلا وأعلم فيم نزلت ؟ ولو أعلم أن أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه» . [رواه البخاري]

والصحابة رضي الله عنهم كانوا يعملون بها تعلموه من القرآن ، ولذلك قال ابن مسعود : **«كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن ، والعمل بهن»** . [صحح إسناده أحمد شاكر]

وهذا العمل تطبيق لقول رسول الله ﷺ القائل :

«اقرأوا القرآن واعملوا به ، ولا تأكلوا به . . .» . [صحيح رواه أحمد]

وبسبب هذا العمل بالقرآن الكريم نصر الله رسوله وصحابته من بعده ، ولما ترك المسلمون اليوم العمل بالقرآن الكريم تأخر النصر عنهم حتى يعودوا إلى تعلم كتاب ربهم والعمل به ، فيعود النصر إليهم .

معرفة المكي والمدني :

اعتمد العلماء في معرفة المكي والمدني على منهجين أساسيين :

١ ـ **المنهج السماعي النقلي** : ويستند إلى الرواية الصحيحة عن الصحابة الذين عاصروا الوحي ، وشاهدوا نزوله ، أو عن التابعين الذين تلقوا عن الصحابة وسمعوا منهم كيفية النزول ومواقعه وأحداثه ، ومعظم ما ورد في المكي والمدني من هذا القبيل ، إذ لم يرد عن الرسول ﷺ قول ، لأنه لم يؤمر به .

مثال ذلك ما يجده القارىء في أول السورة : (سورة مكية) أو (سورة مدنية) .

٢ ـ **المنهج القياسي الاجتهادي** : ويستند إلى خصائص المكي والمدني ، فإذا ورد في

السورة المكية آية تحمل طابع التنزيل المدني ، أو تتضمن شيئاً من حوادثه قالوا إنها مدنية ، وإذا ورد في السورة المدنية آية تحمل طابع التنزيل المكي ، أو تتضمن شيئاً من حوادثه قالوا إنها مكية ، وإذا وجد في السورة خصائص المكي قالوا إنها مكية ، وإذا وجد في السورة خصائص المدني قالوا إنها مدنية .

مثال ذلك قالوا : كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية فهي مكية ، وكل سورة فيها فريضة أو حَدٌّ فهي مدنية . [انظر علوم القرآن للقطان]

تعريف القرآن المكي والمدني

١ ـ **القرآن المكي** : هو الذي نزل به الوحي على رسول الله ﷺ قبل الهجرة وإن كان بغير مكة .

٢ ـ **القرآن المدني** : هو الذي نزل به جبريل على محمد ﷺ بعد الهجرة ، وإن كان بمكة ، كالذي نزل في حجة الوداع .

مثال ذلك قول الله تعالى : ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً** ﴾ . [المائدة ٣]

«جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب فقال : يا أمير المؤمنين ، آية في كتابكم تقرؤونها ، لو علينا نزلت معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيداً ، قال : فأي آية ؟ قال : ﴿ اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلام ديناً ﴾ . فقال عمر : إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه ، والمكان الذي نزلت فيه نزلت على رسول الله ﷺ في عرفة يوم جمعة . [رواه البخاري]

أقول : في هذه الآية رد على القائلين بالبدعة الحسنة في الإسلام وقد قال الإمام مالك من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أنَّ محمداً ﷺ خان الرسالة لأن الله يقول : ﴿ **اليوم أكملتُ لكم دينكم** ﴾ الآية .

فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً .

خصائص القرآن المكي

الغالب في القرآن المكي من حيث الموضوع الاهتمام بما يلي :

١ ـ الدعوة إلى توحيد الإله الذي أنكره المشركون كما قال الله تعالى عنهم :

﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ آللهُ يَسْتَكْبِرُونَ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنا لِشَاعِرٍ مَّجْنُون ﴾ . [الصافات ٣٥ ـ ٣٦]

لأن العربي كان يفهم معنى (لا إله إلا الله) وأن من قالها ترك عبادة غير الله ، أما بعض المسلمين اليوم فلا يفهمون معناها وهو (لا معبود بحق إلا الله) ولذلك يقولونها بألسنتهم ، وينقضونها بأفعالهم ؛ وذلك حينما يدعون غير الله ، أو يتحاكمون إلى غير شرع الله ، أو ينذرون لغير الله ، وغير ذلك من الأعمال الشركية .

٢ ـ التحذير من الشرك كدعاء غير الله ، قال الله تعالى :

﴿ وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ آللهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ ، فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِّنَ آلظَّالِمِينَ ﴾ . [أي المشركين] [يونس ١٠٦]

٣ ـ إبطال عبادة الأولياء بدعوى تقربهم بها إلى الله ، وطلب شفاعتهم عند الله ، حيث قال الله لهم : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَولِيَاءَ مَا نَعبُدُهُم إلاَّ لِيُقَرِبُونَا إِلَىَ اللهِ زُلفَى ، إِنَّ اللهَ يَحكُمُ بَينَهُم في مَا هُم فِيهِ يَختَلِفُونَ إِنَّ اللهَ لاَ يَهدِى مَن هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ . [الزمر ٣]

﴿ وَيَعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَضُرُّهُم وَلاَ يَنفَعُهُم وَيَقُولُونَ هَؤلآءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللهِ قُل أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لاَ يَعلَمُ فِي السَّمٰوَاتِ وَلاَ فِي الأَرض سُبحَانَهُ وَتَعَالىٰ عَمَّا يُشرِكُونَ ﴾ . [يونس ١٨]

فحكم بالكفر والشرك على كل من صرف شيئاً من العبادة لغير الله كالدعاء ، ولو كان قصده التقرب إلى الله وطلب الشفاعة منهم عند الله ، وسرت هذه الفكرة إلى كثير من المسلمين اليوم ، مع الأسف الشديد ! فإذا سألت مسلماً : لماذا تدعو هؤلاء الأولياء ؟

قال لك : أريد التقرب بهم إلى الله ، وطلب شفاعتهم عند الله !

٤ ـ الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر ، وبعث الناس من قبورهم للحساب ، حيث أنكر ذلك المشركون في مكة ، وقد رد الله عليهم بقوله : ﴿ **زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُل بَلَىٰ وَرَبِي لَتُبعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُن بِمَا عَمِلتُم وَذلِكَ عَلَىٰ اللهِ يَسِيرٌ** ﴾ . [التغابن ٧]

٥ ـ التحدي للعرب ـ رغم فصاحتهم ـ أن يأتوا بسورة مثل هذا القرآن ، وقد تحداهم الله تعالى بقوله : ﴿ **أَم يَقُولُون افتَرَاهُ قُل فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثلِه** . . ﴾ . [يونس ٣٨]

٦ ـ إيراد قصص المكذبين الغابرين : كقوم نوح ، وهود ، وقوم صالح ، وشعيب ، وموسى ، وغيرهم ، قال الله تعالى مهدداً مشركي مكة : ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَـادٍ ، إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِـمَادِ ، ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَادِ ، وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْـرَ بِٱلْوَادِ ، وَفِرْعَونَ ذِى الأَوْتَادِ ، ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِي ٱلْبِلَادِ ، فَأَكْثَرُوا فِيهَا ٱلْفَسَادَ ، فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ، إِنَّ رَبَّكَ لَبِالمِرْصَادِ** ﴾ [الفجر ٦ ـ ١٤]

٧ ـ الحث على الصبر : كقوله تعالى :

﴿ **وَاصبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ، وَاهجُرهُم هَجراً جَمِيلاً** ﴾ . [المزمل ١٠]

٨ ـ جهاد المشركين بالقرآن ، وجدالهم بالحسنى : كقوله تعالى :

﴿ **وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَاداً كَبِيراً** ﴾ . [الفرقان ٥٢]

﴿ **وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحسَنُ** ﴾ . [النحل ١٢٥]

٩ ـ إقامة الأدلة الكونية والعقلية على توحيد الربوبية الذي يستلزم منه توحيد الألوهية مثال ذلك قول الله تعالى : ﴿ **أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبلِ كَيفَ خُلِقَت ، وَإِلَى السَّمَاءِ كَيفَ رُفِعت ، وَإِلَى الجبالِ كَيفَ نُصِبَت ، وَإِلَى الأَرضِ كَيفَ سُطِحَت** ﴾ ؟ .
[الغاشية ١٧ـ٢٠]

١٠ ـ يمتاز القرآن المكي غالباً في أسلوبه بوجود ألفاظ شديدة القرع على المسامع تقذف حروفها الوعيد والعذاب :

مثال ذلك قول الله تعالى : ﴿ **ٱلْقَارِعَةُ** ﴾ . [القارعة ١]

﴿ **فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّاخَّةُ** ﴾ . [عبس ٣٣]

﴿ **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ٱلْغَاشِيَةِ** ﴾ . [الغاشية ١]

﴿ **إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ** ﴾ . [الواقعة ١]

﴿ **كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعَاً بِٱلنَّاصِيَةِ** ﴾ . [العلق ١٥]

فحرف [**كلا**] للردع والزجر . [انظر علوم القرآن للقطان]

خصائص القرآن المدني

الغالب في القرآن المدني من حيث الموضوع الاهتمام بما يلي :

١ ـ **الدعوة إلى الجهاد والاستشهاد في سبيل الله** : لأن المسلمين هاجروا إلى المدينة وأقاموا دولة الإسلام فيها فهم بحاجة للدفاع عن دينهم ودولتهم ، لذلك نرى القرآن المدني يشجعهم على القتال قائلاً :

﴿ إِنَّ اللهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُم وَأَموَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقتُلُون ويُقْتَلُونَ . . ﴾ . [التوبة ١١١]

٢ ـ **بيان أحكام الإسلام** : مثل حكم الربا الذي أعلن الله الحرب على فاعليه حيث قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الربا إِن كُنتُم مُّؤمِنِينَ فَإِن لَّم تَفعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ ، وَإِن تُبتُم فَلَكُم رُءُوسُ أَموَالِكُم لا تَظلِمُونَ وَلَا تُظلَمُونَ ﴾ . [البقرة ٢٧٨]

٣ ـ **الحكم في الحدود** : كحد الزنا والسرقة وغيرها من الحدود التي تضمن الأمن والاستقرار في المجتمع ، كقول الله تعالى في حد فاعل الزنى :

﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنهُمَا مائَةَ جَلدَةٍ ﴾ . [النور ٤]

وقوله في حد السرقة :

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقطَعُوا أَيدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِن الله والله عزيز حكيم ﴾ . [المائدة ٣٨]

٤ ـ **فضح المنافقين وكشف دخيلتهم وذكر أوصافهم** : كقول الله تعالى في كشف نفاقهم :

﴿ إِذَا جَآءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ واللهُ يَعلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ واللهُ يَشهدُ إِن الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُون ﴾ . [سورة المنافقون]

٥ - **إسكات أفواه أهل الكتاب من اليهود وغيرهم ومجادلتهم لإقامة الحجة عليهم** : كقوله تعالى :

﴿ وَلاَ تُجَادِلُوا أَهلَ الكِتَابِ إلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحسَنُ إلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنهُم ﴾ .

[العنكبوت ٤٦]

٦ - **تحقيق النصر للمؤمنين في غزواتهم مع أعدائهم** : كقول الله تعالى :

﴿ **ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة** ﴾ . [آل عمران ٢٣]

[انظر مباحث علوم القرآن لمناع القطان]

فوائد العلم بالمكي والمدني

١ - الاستعانة في تفسير القرآن : فإن معرفة مواقع النزول تساعد على فهم الآية وتفسيرها صحيحاً ، وإن كانت العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . ويستطيع المفسر في ضوء ذلك عند تعارض المعنى في آيتين أن يميز بين الناسخ والمنسوخ ، فإن المتأخر يكون ناسخاً للمتقدم .

٢ - تذوق أساليب القرآن والاستفادة منها في أسلوب الدعوة إلى الله ، فإن لكل مقام مقالاً ، ومراعاة مقتضى الحال من أخص معاني البلاغة ، وخصائص أسلوب المكي في القرآن والمدني منه تعطي الدارس منهجاً لطرائق الخطاب في الدعوة إلى الله ، بما يلائم نفسية المخاطب ، ولكل مرحلة من مراحل الدعوة موضوعاتها وأساليبها ، ويبدو هذا واضحاً جلياً في أساليب القرآن المختلفة في مخاطبة المؤمنين أو المشركين والمنافقين وأهل الكتاب .

٣ - الوقوف على السيرة النبوية من خلال الآيات القرآنية ، فالقرآن هو المرجع الأصيل لهذه السيرة . [انظر مباحث في علوم القرآن]

٤ - **عدد السور المكية** : ٨٢ سورة ، **والسور المدنية** : ٢٠ سورة ، **وعدد المختلف فيها** : ١٢ سورة ، **ومجموعها** : ١١٤ سورة ، **وعدد آيات القرآن** : ٦٢٣٦ آية .

* * *

الآيات المكية والمدنية المتداخلة

الآيات المكية في السور المدنية : لا يقصد بوصف السورة بأنها مكية أو مدنية أنها بأجمعها كذلك فقد يكون في المكية بعض آيات مدنية ، وفي المدنية بعض آيات مكية ، ولكنه وصف أغلبي حسب أكثر آياتها ، ولذا يأتي في التسمية : سورة كذا مكية إلا آية كذا فإنها مدنية ، وسورة كذا مدنية إلا آية كذا فإنها مكية ، كما نجد ذلك في المصاحف - ومن أمثلة الآيات المكية في السور المدنية «سورة الأنفال مدنية» واستثنى منها كثير من العلماء قوله تعالى :

﴿ وَإِذ يَمكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثبِتُوكَ أَو يَقتُلُوكَ أَو يُخرِجُوكَ وَيَمكُرُون وَيَمكُرُ الله والله خَيرُ المَاكِرِينَ ﴾ . [سورة الأنفال ٣٠]

قال مقاتل : هذه الآية نزلت بمكة وظاهرها كذلك ، لأنها تضمنت ما كان من المشركين في دار الندوة عند تآمرهم على رسول الله ﷺ قبل الهجرة .

[انظر علوم القرآن]



متى نعمل بالقرآن المكي والمدني ؟

يرى شيخ الإسلام ابن تيمية أن القرآن المكي الذي يدعو إلى الصبر على الأذى ، وعدم مجابهة الكفار يطبق في حالة ضعف المسلمين ، والقرآن المدني الذي يدعو إلى الجهاد والقوة يطبق في حالة قوة المسلمين ، وذلك حين قال :

«وصارت تلك الآيات في حق كل مؤمن مستضعف لا يمكنه نصر الله ورسوله بيده ولا بلسانه فينتصر بما يقدر عليه من القلب ونحوه ، وصارت آية الصَّغار على المعاهدين في حق كل مؤمن قوي يقدر على نصر الله ورسوله بيده أو لسانه ، وبهذه الآيات ونحوها كان المسلمون يعملون في آخر عُمْر رسول الله ﷺ وعلى عهد خلفائه الراشدين ، وكذلك هو إلى يوم قيام الساعة ، لا تزال طائفة من هذه الأمة قائمين على الحق ينصرون الله ورسوله النصر التام . فمن كان من المؤمنين بأرض هو فيها مستضعف أو في وقت هو فيه مستضعف فليعمل بآية الصبر والصفح والعفو عمن يؤذي الله ورسوله من الذين أوتوا الكتاب والمشركين ، وأما أهل القوة فإنما يعملون بآية قتال أئمة الكفر الذين يطعنون في الدين ، وبآية قتال الذين أوتوا الكتاب حتى يُعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون» . [الصارم المسلول ٢٢١]

أقول : يؤيد كلام شيخ الإسلام ابن تيمية قوله تعالى :

﴿ قُل لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرجُونَ أَيَّامَ الله لِيجزِيَ قَوماً بِمَا كَانُوا يَكسِبُونَ ﴾ . [الجاثية ١٤]

يأمر الله رسوله أن يقول للمؤمنين أيام ضعف المسلمين في مكة قبل الهجرة اِصفحوا وتجاوزوا عمن يؤذيكم من الكفار ، ولا تردوا الأذى بمثله ، وهذا يدل على مشروعية التسامح مع الكفرة في حال ضعف المسلمين .

- ليت الجماعات الإسلامية طبقوا ما جاء في القرآن المكي الذي يدعو إلى الصبر والعفو حتى يأتي الله بالنصر .

واجبنا نحن المسلمين

١ ـ أن نطبق الأحكام الشرعية على أنفسنا ، إذ رأينا البعض يدعو إلى الجهاد وحكم الإسلام ، وهو لا يطبقه على نفسه .

٢ ـ أن ندعو حكام المسلمين وأعوانهم إلى تطبيق حكم الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة والقول اللين كما فعل موسى وهارون مع فرعون .

٣ ـ أن يكون جهادنا في حالة الضعف بالمال واللسان عملاً بقوله ﷺ :

«جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم» . [صحيح رواه أبو داود]

٤ ـ أن ندعو الأمة أفراداً وجماعات إلى تطبيق حكم الإسلام على أنفسهم ، حتى ينشأوا على حبه وإقامته على أرضهم .

وقد قال أحد الدعاة المعاصرين :

«أقيموا دولة الإسلام في صدوركم تقم لكم في أرضكم» .

٥ ـ العقيدة أولاً أم الحاكمية ؟ أجاب الداعية الكبير محمد قطب على هذا في محاضرة ألقاها في دار الحديث المكية ، وهذا نصه :

س ـ البعض يقول : إن الإسلام سيعود من قبل الحاكمية ، والبعض الآخر يقول : سيعود الإسلام عن طريق تصحيح العقيدة والتربية الجماعية ، فأيهما أصح ؟

ج ـ من أين تأتي حاكمية هذا الدين في الأرض إن لم يكن دعاة يصححون العقيدة ، ويؤمنون إيماناً صحيحاً ، ويُبتلون في دينهم فيصبرون . ويجاهدون في سبيل الله ، فيحكم دين الله في الأرض ، قضية واضحة جداً ، ما يأتي الحكم من السماء ، ما يتنزل من السماء ، وكل شيء يأتي من السماء ، لكن بجهد من البشر فرضه الله على البشر :

﴿ وَلَو يَشَآء الله لَانتَصرَ مِنهُم ، وَلكن لِيَبلُو بَعضَكُم بِبَعض ﴾ . [سورة محمد ٤]

لابد أن نبدأ بتصحيح العقيدة ، وتربية جيل على العقيدة الصحيحة ، جيل يُبتلى فيصبر على البلاء ، كما صبر الجيل الأول .

نزول القرآن مفرقاً والحكمة منه

لقد نزل القرآن على رسول الله ﷺ متفرقاً حسب الوقائع والمناسبات وفي ذلك حِكَم بالغة :

١ ـ **تثبيت قلب النبي ﷺ** : وهذه الحكمة هي التي رد الله بها على اعتراض الكفار في نزول القرآن متفرقاً بقوله تعالى :

﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَولاَ نُزِّلَ عَلَيهِ القُرآنُ جُملَةً وَاحدةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلناهُ تَرتِيلاً** ﴾ . [الفرقان ٣٢]

قال العـلامـة أبو شامة : «فإن قيل ما السر في نزوله مُنجَّماً ؟ وهلا أُنزل كسائر الكتب جملة ؟ قلنا : هذا سؤال قد تولى الله جوابه ، فقال تعالى : ﴿ **وقال الذين كفروا لولا نُزِّلَ عليه القرآن جملة واحدة** ﴾ يعنون : كما أُنزل على مَن قبله من الرسل ، فأجابهم تعالى بقوله : ﴿ **كذلك** ﴾ أي أنزلناه مُفرَّقاً ﴿ **لِنثبت به فؤادك** ﴾ أي لنقوّي به قلبك ، فإن الوحي إذا كان يتجدد في كل حادثة كان أقوى للقلب وأشد عناية بالمرسل إليه ، ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك إليه ، وتجدد العهد به ، وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز ، فيحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة ، ولهذا كان أجود ما يكون في رمضان لكثرة لقياه جبريل» .
[انظر الإتقان للسيوطي ج١/٤٢]

٢ ـ **التحدي والإعجاز** : لقد اعترض الكفار على نزول القرآن مُفرَّقاً ، كما قال القرآن عنهم ، وبما أنهم قد عجبوا من نزوله مُفرقاً ، فإن الله تحداهم أن يأتوا بسورة مثله فعجزوا ، وإن تحديهم به مُفرَّقاً أقوى في الإعجاز ، وأبلغ في الحجة من أن ينزل جملة واحدة فمن يعجز عن أن يأتي بسورة مثله مُفرَّقاً يعجز بالأولى من الإتيان بمثله جملة واحدة .

ويشير إلى هذه الحكمة ما جاء في بعض الروايات في حديث ابن عباس عن نزول

القرآن : « **فكان المشركون إذا أحدثوا شيئاً أحدث الله لهم جوابا** ».
[أخرجه ابن أبي حاتم]

٣ ـ **تيسير حفظ القرآن وفهمه** : إن نزول القرآن مُفَرَّقاً يسهل للناس حفظه وفهمه ، ولا سيما إذا كانوا أميين كالعرب الذين نزل القرآن بلغتهم ، فكان نزوله مُفرقاً خير عون لهم على حفظه في صدورهم ، وفهمهم لآياته ، كلما نزلت الآية أو الآيات حفظها الصحابة ، وتدبروا معانيها ، وعملوا بها ، لذلك قال عمر رضي الله عنه : «**تعلموا القرآن خمس آيات ، خمس آيات ، فإن جبريل كان ينزل بالقرآن على النبي ﷺ خمساً خمساً**» . [أخرجه البيهقي في شعب الإيمان وسنده صحيح]

٤ ـ **تنشيط نفوس المؤمنين لقبول ما نزل من القرآن والعمل به** :

حيث يتشوق المسلمون إلى نزول الآية ، ولا سيما عند الحاجة إليها كما في آيات الإفك واللعان .

٥ ـ **مسايرة الحوادث والتدرج في التشريع** :

كان القرآن الكريم يتدرج في نزوله ، ويبدأ بالأهم فالمهم :

أ ـ لقد اهتم القرآن الكريم أولاً بأصول الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وما فيه من بعث وحساب وجنة ونار ، ويُقيم الأدلة على ذلك ليستأصل العقائد الفاسدة من نفوس المشركين ، ويغرس فيها عقيدة الإسلام .

ب ـ ثم بدأ يأمر بمحاسن الأخلاق ، وينهى عن الفحشاء والمنكر ليقتلع جذور الفساد والشر ، ويبين قواعد الحلال والحرام في المطاعم والمشارب والأموال والأعراض والدماء وغير ذلك .

ج ـ كان القرآن ينزل وفق الحوادث التي تمر بالمسلمين في جهادهم الطويل لإعلاء كلمة الله ، وتشجيعهم على ذلك . [انظر مباحث في علوم القرآن]



الأمثلة على نزوله بالتدريج

١ ـ نزلت سورة الأنعام ـ وهي مكية ـ تبين أصول الإيمان ، وأدلة التوحيد ، وتحذر من الشرك ، وتوضح ما يحل وما يحرم : قال الله تعالى :

﴿ قُل تَعالَوا أَتلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُم عَلَيكُم أَلَّا تُشرِكُوا بِهِ شَيئاً وَبالوالِدَين إحسَاناً ، ولا تَقتُلُوا أَولَادكُم مِن إملَاقٍ نَّحنُ نَرزُقُكم وَإيَّاهُم ﴾ . [الأنعام ١٥١]

ثم نزل بعد ذلك تفصيل هذه الأحكام في المدينة ، كآية المداينة ، وتحريم الربا ، وأصل الزنى حُرم بمكة : يقول الله تعالى :

﴿ وَلَا تَقرَبُوا الزِنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾ . [الإسراء ٣٢]

والعقوبات المترتبة عليه نزلت بالمدينة .

٢ ـ وأوضح مثال لذلك التدرج في التشريع تحريم الخمر ، فقد نزل قوله تعالى :

﴿ وَمِن ثَمَرات النَّخِيلِ وَالأَعنَاب تَتَّخِذُون مِنهُ سَكَراً وَرِزقاً حَسَناً ﴾ . [النحل ٦٧]

فإنه وصف الرزق بالحسن دون السَّكَر إشارة إلى ذم الخمر ، ثم نزل قوله تعالى :

﴿ يَسئَلُونَكَ عَنِ الخَمرِ وَالمَيسرِ قُل فِيهِمَا إثمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وإثمُهُما أَكبَرُ مِن نَّفعِهِما ﴾ . [البقرة ٢١٩]

فقارنت الآية بين منافع الخمر الوقتية ، وبين مضارها في إثم تعاطيها وما ينشأ عنه من ضرر الجسم ، وفساد العقل ، وضياع المال ، وإثارة لبواعث الفجور والعصيان ، ثم نفَّرت الآية من الخمر بترجيح المضار على المنافع . ثم نزل قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقرَبُوا الصَّلَاة وَأَنتُم سُكَارىٰ حَتَّىٰ تعلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ . [النساء ٤٣]

فعرفوا تحريمه وقت الصلوات ثم نزل قوله تعالى :

﴿ يَا أَيهَا الَّذِينَ ءَامنُوا إِنَّمَا الخَمرُ وَالمَيسِر وَالأَنصَابُ وَالأَزلَام رِجسٌ مِن عَمَل الشَّيطانِ فَاجتَنِبُوهُ لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ ﴾ . [المائدة ٩٠]

٣ ـ ويوضح هذه الحكمة ما قالته عائشة رضي الله عنها :

«إنما نزل أول ما نزل سورة من المفَصل فيها ذكر الجنة والنار ، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أول شيء «لا تشربوا الخمر» لقالوا : لا ندع الخمر أبداً ، ولو نزل «لا تزنوا» لقالوا : لا ندَع الزنا أبداً» .

[أخرجه البخاري] .

من خصائص القرآن الكريم

١ ـ القرآن كلام الله المنزل على رسولنا محمد ﷺ المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس.

٢ ـ التعبد بتلاوته في الصلاة وغيرها وأخذ الثواب على قراءته لقول الرسول ﷺ:

«من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: [ألم] حرف، ولكن: ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف». [صحيح رواه الترمذي]

وقد ورد في قراءة سوره أحاديث صحيحة كسورة (البقرة وآل عمران والملك، والكهف، والمعوذات) وغيرها.

٣ ـ الصلاة لا تصح إلا بقراءة القرآن لقوله ﷺ:

«لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب». [متفق عليه]

٤ ـ القرآن سلم من التحريف والتبديل لقوله تعالى:

﴿ إِنَّا نَحنُ نَزَّلنَا الذِّكرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾. [الحجر ٩]

أما بقية الكتب السماوية كالتوراة والإنجيل فقد حرفها **(اليهود والنصارى)**

٥ ـ القرآن سليم من التناقض لقوله تعالى:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القُرءَانَ وَلَو كَانَ مِن عِنْدِ غَيرِ اللهِ لَوَجَدُوا فيهِ اختِلافاً كَثِيراً ﴾. [النساء ٨٢]

٦ ـ تيسير حفظه عن ظهر قلب، لقوله تعالى:

﴿ وَلَقَد يَسَّرنَا القُرءَانَ لِلذِكرِ ﴾. [القمر ٤٠]

٧ ـ القرآن معجز لا يستطيع أحد أن يأتي بسورة مثله، وقد تحدى الله العرب فعجزوا: قال الله تعالى:

﴿ أَم يَقُولُونَ افتَرَاهُ قُل فَأتُوا بِسُورَةٍ مِثلِهِ ﴾. [يونس ٣٨]

٨ ـ تنزل السكينة والرحمة على قارىء القرآن لقوله ﷺ:

«ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا

نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفّتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده» . [رواه مسلم وغيره]

٩ ـ القرآن للأحياء لا للأموات : قال الله تعالى عن القرآن :

﴿ لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّاً ﴾ . [سورة يس ٧٠]

وقوله تعالى : ﴿ وَأَن لَّيسَ لِلإنسَانِ إلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ . [النجم ٣٩]

وقد استنبط الإمام الشافعي من هذه الآية أن القراءة لا يصل ثواب إهدائها إلى الموتى لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم .

وأما قراءة الولد لأبويه فيصل ثواب القراءة لأن الولد من سعي أبيه كما ورد في الحديث « . . وإن ولده من كسبه» . [صححه محقق جامع الأصول]

١٠ ـ القرآن شفاء القلوب من أمراض الشرك والنفاق وغيرها ، وفيه بعض الآيات والسور لشفاء الأبدان : كسورة الفاتحة والمعوذات ، وغيرها مما ثبت في السنة الصحيحة . قال الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَد جَاءَتكُم مَّوعِظَةٌ مِن رَّبِكُم وشِفَاءٌ لِمَا في الصُّدُور ، وَهُدىً وَرَحمَةٌ لِلمُؤمِنِينَ ﴾ . [يونس ٥٧]

﴿ وَنُنَزِلُ مِن القُرءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحمَةٌ لِلمُؤمِنِينَ ﴾ . [الإسراء ٨٢]

١١ ـ القرآن يشفع لصاحبه لقول الرسول ﷺ :

«اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه» . [رواه مسلم]

١٢ ـ القرآن مهيمن على الكتب التي قبله ، قال الله تعالى :

﴿ وَأَنزَلنَا إِلَيكَ الكِتَاب بِالحَقِ مُصَدِقاً لِمَا بَينَ يَدَيه مِن الكِتَاب وَمُهَيمِناً عَلَيهِ ﴾ . [المائدة ٤٨]

قال ابن كثير بعد أن ذكر أقوالاً في تفسير المهيمن :

«وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى ، فإن اسم المهيمن يتضمن هذا كله ، فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله ، هذا الكتاب العظيم الذي أُنزل آخر الكتب وخاتمها، وأشملها وأعظمها، وأكملها ، حيث جمع فيه محاسن ما قبله ، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره ، فلهذا جعله شاهداً وأميناً وحاكماً عليها كلها ، وتكفل الله بحفظه» . [تفسير ابن كثير ٢/ ٦٥]

١٣ ـ القرآن الكريم صادق في أخباره ، عدل في أحكامه . قال الله تعالى :

﴿ وَتَمَّت كَلِمَتُ رَبكَ صِدقاً وَعَدلاً لاَّ مُبدل لِكَلَماتِه ﴾ . [الأنعام ١١٥]

قال قتادة : صدقاً فيما قال ، وعدلاً فيما حكم ، يقول صدقاً في الأخبار ، وعدلاً في الطلب ، فكل ما أخبر به حق لا مرية فيه ولا شك ، وكل ما أمر به فهو العدل الذي لا عدل سواه ، وكل ما نهى عنه فباطل ، فإنه لا ينهى إلا عن مفسدة كما قال تعالى : ﴿ يَأمرُهُم بالمَعرُوفِ وَينهَاهم عَنِ المُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيبات وَيُحرِّمُ عَلَيهِمُ الخَبَائثَ ﴾ . [الآية ١٥٧ من سورة الاعراف]

[انظر تفسير ابن كثير ج٢/١٦٧]

١٤ ـ القصة في القرآن حقيقة لا خيال : فقصة موسى مع فرعون واقعة قال تعالى :

﴿ نتْلُوا عَلَيكَ مِن نَّبأ مُوسَىٰ وَفِرعَون بالحَق ﴾ . [القصص ٣]

ومثلها قصة أصحاب الكهف ، فهي حقيقة ، قال تعالى :

﴿ نحنُ نَقُصُّ عَلَيكَ نَبَأَهُم بالحَق ﴾ . [الكهف ١٣]

وجميع ما قص الله في القرآن حق ، قال تعالى :

﴿ إنَّ هَذا لَهُوَ القَصصُ الحَقُّ ﴾ . [آل عمران ٦٢]

١٥ ـ القرآن يجمع بين مطلب الدنيا والآخرة ، قال تعالى :

﴿ وَابتَغِ فِيمَا آتاكَ الله الدَّار الآخِرَةَ ، وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِن الدُّنيا ، وَأَحسِن كَمَآ أَحسَنَ الله إلَيكَ ﴾ . [القصص ٧٧]

١٦ ـ القرآن فيه كل ما يحتاجه البشر من عقائد وعبادات وأحكام ومعاملات وأخلاق وسياسة واقتصاد وغير ذلك من أمور الحياة اللازمة للمجتمع ، قال تعالى :

﴿ مَا فَرَّطنَا في الكِتَاب من شيءٍ ﴾ . [الأنعام ٣٨]

وقال تعالى :

﴿ وَنزَّلنَا عَلَيكَ الكِتَابَ تِبيَاناً لِكُل شيءٍ ، وَهُدىً وَرَحمَةً وَبُشرَىٰ للمُسلِمينَ ﴾ .
[النحل ٨٩]

أ ـ قال القرطبي عند تفسير قوله تعالى :

﴿ ما فرَّطنا في الكتاب من شيء ﴾ أي في اللوح المحفوظ فإنه أثبت فيه ما يقع من الحوادث ، وقيل : أي في القرآن : ما تركنا شيئاً من أمر الدين إلا وقد دللنا عليه في القرآن ، إما دلالة مبينة مشروحة ، وإما مجملة يُتلقى بيانها من الرسول ﷺ ،

أو من الإجماع ، أو من القياس الذي ثبت بنص الكتاب . [ج٦/٤٢٠]
ثم قال : فصدَقَ خبرُ الله بأنه ما فرَّط في الكتاب من شيء إما تفصيلاً أو تأصيلاً .
ب ـ وقال الطبري في تفسير قوله تعالى :
﴿ **ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء** ﴾ يقول :
نزل عليك يا محمد هذا القرآن تبياناً لكل ما بالناس إليه الحاجة من معرفة الحلال والحرام والثواب والعقاب ﴿ **وهدى** ﴾ من الضلالة ﴿ **ورحمة** ﴾ لمن صدق به ، وعمل بما فيه من حدود الله ، وأمره ونهيه ، فأحل حلاله ، وحرم حرامه .
﴿ **وبشرى للمسلمين** ﴾ يقول : وبشارة لمن أطاع الله وخضع له بالتوحيد ، وأذعن له بالطاعة يبشره بجزيل ثوابه في الآخرة ، وعظيم كرامته . [ج ٨/١٦١]
١٧ ـ القرآن الكريم له تأثير قوي على النفوس من الإنس والجن .
أ ـ أما الإنس فقد تأثر به كثير من المشركين في أول الإسلام ، ودخلوا به ، وفي العصر الحاضر التقيت بشاب نصراني دخل في الإسلام ، وذكر لي أنه تأثر بسماعه القرآن من الأشرطة .
ب ـ وأما الجن فقد قال نفر منهم :
﴿ **إنَّا سمِعنَا قُرءَاناً عَجَباً ، يَهدِيَ إلَى الرُّشدِ فَأَمَنَّا بهِ ، وَلَن نُّشرِكَ بِرَبنا أَحَداً** ﴾ .
[الجن ١-٢]
ج ـ وأما المشركون فكثير منهم تأثر بالقرآن عند سماعه ، حتى قال الوليد بن المغيرة :
(فوالله ما هو بشعر ولا بسحر ولا بهذي من الجنون ؛ وإن قوله من كلام الله ، وإن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه ليعلو وما يُعلى عليه) [انظر ابن كثير ج٤/٤٤٣]
١٨ ـ الذي يتعلم القرآن ويعلمه للناس هو خيرهم لقوله ﷺ :
«**خَيْركُم مَن تعلّم القرآن وعَلّمه**» . [رواه البخاري]
١٩ ـ «**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررَة ، والذي يقرؤه ويُتعتعُ فيه وهو عليه شاق له أجران**» . [متفق عليه]
(السفرة : الملائكة) [يُتعتع : يتردد فيه] .
٢٠ ـ القرآن جعله الله هادياً ومبشراً فقال :
﴿ **إنَّ هَذا القُرءَانَ يَهدِي لِلَّتِي هِيَ أَقوَمُ وَيُبَشرُ المُؤمِنِينَ الَّذِينَ يَعمَلُون الصَّالحَات أَنَّ لَهُم أَجرَاً كَبِيراً** ﴾ . [الإسراء ٩]

٢١ ـ القرآن يسكن القلوب ، ويثبت اليقين ، والمؤمنون يعلمون أنه أعظم آية تطمئن لها قلوبهم ببردِ اليقين . قال الله تعالى :

﴿ **الَّذِينَ ءَامنُوا وَتَطمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكرِ الله أَلاَ بِذِكرِ الله تَطمَئِنُّ القُلُوبُ** ﴾ . [الرعد ٢٨]

فإذا أصاب المسلم هَمٌّ أو حزن أو مرض فعليه أن يسمع القرآن الكريم من مقرىء حسن الصوت كالمنشاوى وغيره ، فقد قال ﷺ : «**حسنوا القرآن بأصواتكم ، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حُسناً**» . [صحيح ، وانظر صحيح الجامع للألباني]

٢٢ ـ القرآن الكريم يدعو في أكثر سوره إلى التوحيد ، ولا سيما توحيد الإلّه في العبادة والدعاء والاستعانة : ففي أوله في سورة الفاتحة تجد قوله تعالى :

﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ ، (أي لا نعبد إلا إياك ، ولا نستعين إلا بك) .

وفي آخره في سوره الإخلاص ، والفلق ، والناس ، تجد التوحيد ظاهراً في قوله :

﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ ، ﴿ **قل أعوذ برب الفلق** ﴾ ، ﴿ **قل أعوذ برب الناس** ﴾ ،

وفي سورة الجن تقرأ قوله تعالى :

﴿ **قُل إِنَّمَا أَدعُوا رَبي وَلاَ أُشرِكُ بِهِ أَحَداً** ﴾ . [الجن ٢٠]

﴿ **وَأَنَّ المَسَاجِدَ لله فَلاَ تَدعُوا مَعَ الله أَحداً** ﴾ . [الجن ١٨]

وفي بقية سور القرآن كثير من آيات التوحيد .

والعجيب أن أحد المشايخ وجد هذه الآية مكتوبة على باب المسجد ، فقال : هذه آية وهابية ، لأنها تنهى عن دعاء غير الله !!

وقال لي دكتور صوفي : إن آية ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ وهابية ، لأنها تدعو إلى الاستعانة بالله وحده !!

٢٣ ـ القرآن الكريم مصدر الشريعة الإسلامية الأول أنزله الله على سيدنا محمد ﷺ ليخرج الناس من ظلمات الكفر والشرك والجهل إلى نور الإيمان والتوحيد والعلم قال الله تعالى :

﴿ **كِتَابٌ أَنزَلنَاهُ إِلَيكَ لِتُخرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذنِ رَبهِم إِلَىٰ صِرَاطِ العَزِيزِ الحَمِيدِ** ﴾ . [إبراهيم ١]

٢٤ ـ القرآن الكريم يخبر عن الحوادث المستقبلة التي لا تُعلَم إلا بالوحي كقوله تعالى :

﴿ **سَيُهزَمُ الجَمعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ** ﴾ . [القمر ٤٥]

وقد هُزم المشركون يوم بدر وهربوا من المعركة .

وأخبر القرآن عن أمور كثيرة قد تحققت فيها بعد كتغَلُّبِ الروم على الفرس .

٢٥ ـ الاستعاذة عند تلاوة القرآن لقول الله تعالى :

﴿ **فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم** ﴾ . [النحل ٩٨]

٢٦ ـ وجوب الاستماع والإنصات إليه لمن كان مُؤتمّاً في الصلاة وخطبة الجمعة :

لقول الله تعالى :

﴿ **وإذا قُرِىء القرآن فاستمعوا له ، وأنصِتوا لعلكم تُرحمون** ﴾ . [الأعراف ٢٠٤]

فإذا قُرِىء عليكم القرآن فاستمعوا له ، لتفهموا آياته وأنصتوا إليه لتعقلوه ، ليرحمكم ربكم . [انظر تفسير الطبري]

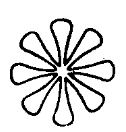
الخلاصة

إن خصائص القرآن كثيرة ، وقد وصفه الله تعالى بقوله :

﴿ **وإنه لكتاب عزيز ، لا يأتيه الباطلُ مِن بين يديه ولا مِن خلفه ، تنزيلٌ من حكيم حميد** ﴾ . [فصلت ٤١-٤٢]

وقال عنه الرسول ﷺ : (**تركت فيكم شيئين ، لن تضلُّوا بعدهما : كتاب الله وسنتي ، ولن يتفرَّقا حتى يردا عليَّ الحوض**) . [صحيح رواه الحاكم]

وقال جلادستون ـ رئيس وزراء بريطانيا سابقاً ـ: ما دام هذا القرآن موجوداً فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق الإسلامي .



القرآن كتاب جامع شامل

القـرآن الكـريم تطرق لموضوعات شتى هامة كالأمر والنهي ، والوعد والوعيد ، والحِكم والأمثال ، والوعظ والقصص ، وذكر المغيبات ، والعلوم الكونية ، ومظاهر الخلق ، ودلائل البعث والنشور ، وغير ذلك من الأمور المهمة .

وحـين نتـدبـر القرآن في كل هذه المواضيع والأغراض نجدها في منتهى البلاغة والبراعة وغاية الانسجام والتوافق والالتئام ، أوله يشبه آخره ، ويشبه بعضه بعضاً في الحسن ، ولا يمل قارؤه ، ولا يسأم مجوده ، ولا يشك متدبره ، يزيد المتقين هدى ، والمؤمنين إيماناً ، وذلك أنه في غاية الترابط والتلاحم ، أوله يُصدِّق آخره .

إن نظم القرآن وترتيبه على الوجه المعهود ، المباين والمخالف لأنظمة الكتب المؤلفة ، وهو مع ذلك متناسب الآي والسور في المعاني والمباني والموضوعات ، كأنه وحدة واحدة متكـاملة ـ دليل مادي على أنه ليس بكتاب وضعي بشري ، يجلس إليه واضعه من الناس ، فيجعل لكل طائفة من معلوماته المتناسبة فصلاً ، ولكل مجموعة من فصوله المتتابعة باباً ، بل هو مجموعة هدايات من الوحي الإلهي اقتضتها الحكمة ، ودعت إليها المصلحة ، لا تجد فيها خللاً ولا تناقضاً ، بل تأخذ برقاب بعضها كأنها موضوع واحد . [انظر رسالة موهم الاختلاف والتناقض في القرآن الكريم للشيخ ياسر أحمد علي الشمالي]

يقول الشيخ الزرقاني : إن هذا المزيج الطريف الذي نجده في كل سورة ، أو طائفة منه ، له أثر بالغ في التذاذ قارئه ، وتشويق سامعه ، واستفادة المستفيد بأنواع متنوعة منـه ، فما أشبه كل مجموعة من القرآن بروضة يانعة ، يتنقل الإنسان بين أفيائها ، متمتعاً بكل الثمرات ، أو بمائدة حافلة بشتى الأطعمة ، يُشبع الجائع حاجته بما فيها من جميع الألوان . [انظر مناهل العرفان ج١/ ٨٠]

ويقول الدكتور محمد عبدالله دراز : إنك لتقرأ السورة الطويلة المنسجمة ، يحسبها الجاهل أضغاثاً من المعاني حُشيت حَشواً ، وأوزاعاً من المباني جمعت عفواً ، فإذا هي

لو تدبرت بُنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أُسس وأصول ، وأُقيم على كل أصل منها شعب وفصول ، فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيان واحد ، قد وُضع رسمه مرة واحدة ، لا تحس بشيء من تناكر الأوضاع في التقسيم والتنسيق ، ولا بشيء من الانفصال في الخروج من طريق إلى طريق ، بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة ، كما ترى بين آحاد الجنس الواحد نهاية التضام والالتحام .

ومن وراء ذلك كله يسري في جملة السورة اتجاه معين ، وتؤدي بمجموعها غرضاً خاصاً ، كما يأخذ الجسم قواماً واحداً ، ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد مع اختلاف وظائفه العضوية . [انظر كتاب النبأ العظيم ١٥٥]



القرآن سليم من الاختلاف

قال الله تعالى :

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القُرءَانَ ، وَلَو كَانَ مِن عِندِ غَيرِ الله لَوَجَدُوا فِيهِ اختِلافاً كَثِيراً ﴾ . [النساء ٨٢]

١ ـ قال الطبري في تفسيرها : يعني جل ثناؤه بقوله :

﴿ أفلا يتدبرون القرآن ﴾ أفلا يتدبر المبيتون غير الذي تقول لهم يا محمد : كتاب الله ، فيعلمون حجة الله عليهم في طاعتك واتباع أمرك ، وإن الذي أتيتهم به من التنزيل من عند ربهم لا تِّساق معانيه ، وائتلاف أحكامه ، وتأييد بعضه بعضاً بالتصديق ، وشهادة بعضه بعضاً بالتحقيق ، فإن ذلك لو كان من عند غير الله لاختلفت أحكامه ، وتناقضت معانيه ، وأبان بعضه عن فساد بعض .

وأسند ابن جرير عن قتادة :

(أي قول الله لا يختلف ، وهو حق ليس فيه باطل ، وإن قول الناس يختلف) .

وأسند عن ابن زيد : (إن القرآن لا يُكذِّب بعضه بعضاً ، ما جهل الناس من أمر فإنما هو من تقصير عقولهم وجهالتهم ، وقرأ :

﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ . [النساء ٨٢]

قال فحق على المؤمن أن يقول: ﴿ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ الله ﴾ ويؤمن بالمتشابه ولا يضرب بعضه ببعض ، وإذا جهل أمراً ولم يعرفه أن يقول : (الذي قال الله حق ، ويعرف أن الله تعالى لم يقل قولاً وينقضه ، ينبغي أن يؤمن بحقيقة ما جاء من الله) .

[انظر تفسير الطبرى ج٨/٥٦٧]

٢ ـ وقال الحافظ ابن كثير في تفسير الآية : يقول تعالى آمراً لهم بتدبر القرآن ، وناهياً لهم عن الإعراض عنه ، وعن تفهم معانيه المحكمة ، وألفاظه البليغة ، ومخبراً لهم أنه لا اختلاف فيه ولا اضطراب ، ولا تعارض ، لأنه تنزيل من حكيم حميد ، فهو

حق من حق ، ولهذا قال تعالى :

﴿ **أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها** ﴾ . [سورة محمد ٢٤]

ثم قال : ﴿ **ولو كان من عند غير الله** ﴾ أي لو كان مفتعلاً مختلقاً كما يقوله من يقوله من جهلة المشركين والمنافقين في بواطنهم لوجدوا فيه اختلافاً أي اضطراباً وتضاداً كثيراً ، أي وهذا سالم من الاختلاف فهو من عند الله ، كما قال تعالى عن الراسخين في العلم حيث قالوا : ﴿ **آمنا به كل من عند ربنا** ﴾ **أي مُحكَمِه**(١) ومتشابهه(٢) حق ، فلهذا ردوا المتشابه إلى المحكم فاهتدوا ، والذين في قلوبهم زيغ ردوا المحكم إلى المتشابه فغووا ، ولهذا مدح الله تعالى الراسخين ، وذم الزائغين .

[انظر ابن كثيرج١/٥٢٩]

٣ ـ وقال الشاطبى وإذا ثبت أن القرآن في نفسه لا اختلاف فيه ، صح أن يكون حَكماً بين جميع المختلفين ، لأنه إنما يقرر معنى هو الحق ، والحق لا يختلف في نفسه ، فكل اختلاف صدر من المكلفين فالقرآن هو المهيمن عليه ، قال الله تعالى :

﴿ **فإن تنازعتم في شيءٍ فردُّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلاً** ﴾ . [سورة النساء ٥٩]

فهذا دليل على أن الحق فيه واضح ، وأن البيان فيه شاف ، ولا شيء بعده يقوم مقامه ، وهكذا فعل الصحابة . [انظر الاعتصام ج٢/٣٠٩]

---

(١) المحكم : أن يكون معنى الآية ظاهراً كقوله تعالى :

﴿ **وأحل الله البيع** ﴾ [البقرة ٢٧]

(٢) المتشابه نوعان : حقيقي : وهو ما لا يمكن أن يعلمه البشر كحقيقة صفات الله ، وكيفيتها ، لكن معناها معلوم كقوله تعالى : ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ فالاستواء معلوم كما قال الامام مالك ، وقد ورد تفسيره في البخاري عن التابعين بالعلو والارتفاع ، وكيفية الاستواء غير معقولة .

النوع الثاني : نسبي : وهو ما يكون مشتبهاً على بعض الناس دون بعض كقوله تعالى : ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾ فأهل التعطيل فهموا منها نفي الصفات عن الله ، وادعوا أن ثبوتها يستلزم المشابهة ، وأعرضوا عن الآيات التي تثبت الصفات لله ، علماً بأن إثبات المعنى لا يستلزم المشابهة .

أسماء القرآن وأوصافه

١ ـ لقد سمى الله القرآن بأسماء كثيرة منها :

القرآن ، والفرقان ، والكتاب ، والتنزيل ، ولها أدلة من القرآن .

٢ ـ ووصف الله القرآن بأوصاف في آياته منها أنه : نور ، وهُدى ، وموعظة ، وشفاء ، ورحمة ، ومبارك ، ومبين ، وبشرى ، وعزيز ، ومجيد ، وبشير ، ونذير ، وكريم ، وأحسن الحديث .

قال تعالى يصف كتابه العزيز :

﴿ الله نَزَّل أحسَنَ الحَـدِيثِ كِتاباً مُّتَشابِهاً مَّثَانِيَ تَقشَعِرُّ مِنهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخشَونَ رَبَّهُم ، ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُم وَقُلُوبُهُم إِلَىٰ ذِكرِ الله ذَٰلِكَ هُدَى الله يهدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ . [سورة الزمر ٢٣]

(**أحسن الحديث** : أبلغه وأصدقه وأوفاه القرآن) .

(**كتاباً متشابهاً** : في إعجازه وهدايته وخصائصه ، يشبه بعضه بعضاً في الحسن) .

(**مثاني** : مكرراً فيه الأحكام والمواعظ والقصص والآداب) .

(**تقشَعرُّ منه** : تضطرب وترتعد من قوارعه) .

(**تلين جلودهم** : تسكن وتطمئن لينة غير منقبضة) .

[انظر كلمات القرآن لحسنين محمد مخلوف]

٣ ـ وقد ورد وصفه في أحاديث فيها ضعف إلا أن معناها صحيح :

فروي عن الرسول ﷺ أنه قال :

أ ـ **«إن هذا القرآن مأدبة الله ، فتعلموا مأدبته ما استطعتم ، وإن هذا القرآن هو حبل الله ، وهو النور المبين ، والشفاء النافع ، عصمة من تمسك به ، ونجاة من تبعه ، لا يُعِوَج فيُقَوَّم ، ولا يزيغ فيُستعتَب ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يَخلَق عن كثرة الرد ، أتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات ، أما إني لا أقول**

بـ(ألم) ، ولكن بألفٍ عشراً ، وباللام عشراً ، وبالميم عشراً» .
[صححه الحاكم ، وضعفه الذهبي]

ب ـ «ألا إنها ستكون فتن ، قلت وما المخرج منها ؟ قال : كتاب الله ، كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، وهو الذي من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، فهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسن ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يَخلَق عن كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه . وهو الذي لم تَنتهِ الجن إذ سمعته أن قالوا :
﴿ إنَّا سَمِعنَا قُرءاناً عَجَباً ﴾ . [سورة الجن ١]
هو الذي من قال به صدق ، ومن حكم به عدَل ، ومن عمل به أُجر ، ومن دعا إليه هُديَ إلى صراط مستقيم» . [رواه الترمذي وقال محقق جامع الأصول في سنده مجهول]
[ورجح الشيخ الألباني وقفه على علي بن أبي طالب]

من فضائل القرآن

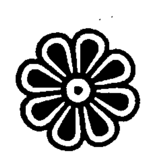
١ـ قال الله تعالى : ﴿ الَّذينَ آتَيْنَاهُمُ الكتابَ يَتْلونَهُ حَقَّ تلاوَته أُوْلَئكَ يُؤْمنونَ به ﴾ .
[يتلونه حق تلاوته : أي يحلون حلاله ، ويحرمون حرامه ويقرءونه كما أُنزل] . [البقرة ١٢١]

٢ـ قال رسول الله ﷺ : (اقرؤوا القرآنَ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه) .
[رواه مسلم]

٣ـ وقال ﷺ : (مَن قرأ القران وعمل به أُلبس والداه تاجاً يوم القيامة أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا فما ظنكم بالذي عمل هذا) . [رواه أبو داود والحاكم وقال : صحيح الاسناد]

٤ـ وقال ﷺ : (إن لله أهلين من الناس قالوا : من هم يارسول الله ؟ قال : أهل القرآن : هم أهل الله وخاصته) . [صحيح الاسناد]

٥ـ وقال ﷺ : (الماهرُ بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأُ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاقٌّ له أجران) . [متفق عليه]



معنى التأويل وأنواعه في القرآن

قال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزلَ عَلَيكَ الكِتَابَ مِنهُ ءايَاتٌ مُحكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهاتٌ ؛ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم زَيغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنهُ ابتِغَاءَ الفِتنَةِ وابتِغَآءَ تَأويلِه ، وَمَا يَعلَمُ تَأوِيلَهُ إلا الله . وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِن عِندِ رَبنَا ، وَمَا يَذَّكرُ إلاَّ أُولُوا الألبَابِ ﴾ [آل عمران ٧]

الأول : التـأويل : بمعنى التفسـير ، فهو الكلام الذي يفسر به اللفظ حتى يفهم معناه ، وهذا هو الغالب على اصطلاح المفسرين للقرآن كابن جرير الطبري وأمثاله من المفسرين .

الثاني : التأويل : هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام ، فتأويل ما أخبر الله به عن ذاته وصفاته هو حقيقة ذاته المقدسة وما لها من حقائق الصفات ، وتأويل ما أخبر الله به عن اليوم الآخر هو نفس ما يكون في اليوم الآخر .

١ ـ فالذين يقولون بالوقف على قوله تعالى : ﴿ **فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشـابـه منـه ابتغـاء الفتنـة وابتغاء تأويله ، وما يعلـم تأويله إلا الله** ﴾ ويجعلون ﴿ **والراسخون في العلم** ﴾ استئنافاً ، إنما عَنَوا بذلك التأويل بالمعنى الثاني ، أي الحقيقـة التي يؤول إليهـا الكـلام ، فحقيقـة ذات الله وكنههـا ، وكيفية أسمائه وصفاته ، وحقيقة الميعاد لا يعلمها إلا الله .

٢ ـ والذين يقولون بالوقف على قوله :

﴿ **وما يعلم تأويلَه إلا الله والراسخون في العلم** ﴾ على أن الواو للعطف ، وليست للاستئناف ، إنما عَنَوا بذلك التأويل بالمعنى الأول وهو التفسير ، فإذا ذكر عن مجاهد أنه يعلم تأويل المتشابه فالمراد به أنه يعرف تفسيره .

وبهذا يتضح أنه لا منافاة بين القولين في النهاية ، وإنما الأمر يرجع إلى الاختلاف في معنى التأويل . [علوم القرآن للقطان]

٣ ـ وقال ابن عباس رضي الله عنهما : التفسير على أربعة أنواع :
١ ـ فتفسير لا يعذر أحد في فهمه (كمعرفة الحلال والحرام) .
٢ ـ وتفسير تعرفه العرب من لغاتها (كمعنى الإله : وهو المعبود) .
٣ ـ وتفسير يعلمه الراسخون في العلم (كمعنى الاستواء : العلو) .
٤ ـ وتفسير لا يعلمه إلا الله (كمعرفة كيفية الذات والصفات) . [ذكره ابن كثير]

التأويل المذموم

الثالث : التأويل المذموم : هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به ، وهو الذي عناه أكثر المتأخرين في تأويل نصوص الصفات ، وإنما لجأوا إليه مبالغة منهم في تنزيه الله تعالى عن مماثلة المخلوقين في زعمهم ؛ وهذا زعم باطل أوقعهم في مثل ما هربوا منه أو أشد ، فهم حين يؤولون اليد بالقدرة مثلاً إنما قصدوا الفرار من أن يثبتوا للخالق يداً ، لأن للمخلوقين يداً فاشتبه عليهم لفظ اليد فأولوها بالقدرة ، وذلك تناقض منهم ، لأنهم يلزمهم في المعنى الذي أثبتوه نظير ما زعموا أنه يلزم في المعنى الذي نفوه ، لأن العباد لهم قدرة أيضاً . فإن كان ما أثبتوه من القدرة حقاً ممكناً كان إثبات اليد لله حقاً ممكناً أيضاً . وإن كان إثبات اليد باطلاً ممتنعاً لما يلزمه من التشبه في زعمهم كان إثبات القدرة باطلاً ممتنعاً كذلك ، فلا يجوز أن يقال : إن هذا اللفظ مُؤوَّل بمعنى أنه مصروف عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح .
وما جاء عن أئمة السلف وغيرهم من ذم للمتأولين إنما هو لمثل هؤلاء الذين تأولوا ما يشتبه عليهم معناه على غير تأويله وإن كان لا يشتبه على غيرهم .
[انظر علوم القرآن للقطان]



موقف الراسخين في العلم والزائغين من المتشابه

إن موقف الراسخين في العلم من المتشابه وموقف الزائغين منه بينه الله تعالى فقال في الزائغين : ﴿ **فأما الذين في قلوبهم زَيغٌ فيتَّبعون ما تشابهَ منه ابتغاءَ الفتنة وابتغاءَ تأويلِه** ﴾ . [آل عمران ٧]

وقال في الراسخين في العلم :

﴿ **والراسخون في العلم يقولون آمنا به كُلٌ من عند رَبنا** ﴾ . [آل عمران ٧]

فالزائغون يتخذون من هذه الآيات المشتبهات وسيلة للطعن في كتاب الله وفتنة الناس عنه وتأويله لغير ما أراد الله تعالى به فيَضِلون ويُضلون .

وأما الراسخون في العلم فيؤمنون بأن ما جاء في كتاب الله تعالى فهو حق وليس فيه اختلاف ولا تناقض لأنه من عند الله .

﴿ **ولو كان مِن عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً** ﴾ . [النساء ٨٢]

وما جاء مشتبهاً ردوه إلى المحكم ليكون الجميع مُحكَماً .

١ ـ **ويقولون في المثال الأول** : إن لله تعالى يدين حقيقتين على ما يليق بجلاله وعظمته لا تماثلان أيدى المخلوقين كما أن له ذاتاً لا تماثل ذوات المخلوقين لأن الله تعالى يقول :

﴿ **لَيسَ كَمِثله شيء وَهُوَ السَميعُ البَصير** ﴾ . [الشورى ١١]

وكعُلُو الله على عرشه على ما يليق بجلاله **لا يُشْبِهُهُ أحدٌ مِنْ مَخلوقاتِه** :

قال الله تعالى : ﴿ **الرَّحمٰن عَلَى العَرش استَوَىٰ** ﴾ . [طه ٥]

٢ ـ **ويقولون في المثال الثاني** : إن الحسنة والسيئة كلتاهما بتقدير الله عز وجل لكن الحسنة سببها التفضل من الله تعالى على عباده . أما السيئة فسببها فعل العبد كما قال الله تعالى :

﴿ **وما أصابكم مِن مُصيبة فبما كسَبت أيديكم ويعفو عن كثير** ﴾ . [الشورى ٣٠]

فإضافة السيئة إلى العبد من إضافة الشيء إلى سببه لا من إضافته إلى مُقَدِّره ، أما

إضافة الحسنة والسيئة إلى الله تعالى فمن باب إضافة الشيء إلى مُقَدِّره ، وبهذا يزول ما يوهم الاختلاف بين الآيتين لانفكاك الجهة .

٣ ـ **ويقولون في المثال الثالث** : إن النبي ﷺ لم يقع منه شك فيما أُنزل إليه بل هو أعلم به وأقواهم يقيناً كما قال الله تعالى ﴿ **قل يا أيها الناس إن كنتم في شَكٍ مِن ديني فلا أعبدُ الذين تعبدون مِن دون الله** ﴾ الآية . [سورة يونس ١٠٤]

المعنى إن كنتم في شك منه فأنا على يقين منه ولهذا لا أعبد الذين تعبدون من دون الله بل أكفر بهم وأعبد الله .

ولا يلزم من قوله : ﴿ **فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك** ﴾ أن يكون الشك جائزاً على الرسول ﷺ أو واقعاً منه ، ألا ترى قوله تعالى :

﴿ **قل إنْ كان للرحمن ولَدٌ فأنا أولُ العابدين** ﴾ . [الزخرف ٨١]

هل يلزم منه أن يكون الولد جائزاً على الله تعالى أو حاصلاً ؟

كلا ، فهذا لم يكن حاصلاً ولا جائزاً على الله تعالى ، قال الله تعالى :

﴿ **وَمَا يَنبغِي لِلرَّحمن أَن يَتَّخِذَ وَلَداً ، إنْ كُلُّ مَن في السَّمَوَاتِ وَالأرض إلَّا ءَاتِي الرَّحمَنِ عَبداً** ﴾ . [سورة مريم ٩٢ ـ ٩٣]

ولا يلزم من قوله تعالى : ﴿ **فلا تكونَنَّ مِن الممترَين** ﴾ أن يكون الامتراء واقعاً من الرسول ﷺ لأن النهي عن الشيء قد يوجه إلى من لم يقع منه ، ألا ترى قوله تعالى : ﴿ **ولا يصدُنَّك عن آياتِ الله بعد إذ أُنزلَتْ إليك وادعُ إلى رَبك ولا تكونَنَ مِن المشركين** ﴾ . [القصص ٨٧]

المعلوم أنهم لم يصدوا النبي ﷺ عن آيات الله وأن النبي ﷺ لم يقع منه شرك ؛ والغرض مِن توجيه النهي إلى مَن لا يقع منه التنديد بمن وقع منهم والتحذير من منهاجهم ، وبهذا يزول الاشتباه وظن ما لا يليق بالرسول ﷺ .

[انظر كتاب أصول في علم التفسير للشيخ محمد صالح العثيمين]



أنواع التشابه في القرآن

التشابه الواقع في القرآن نوعان :

أحدهما : حقيقي وهو ما لا يمكن أن يعلمه البشر كحقائق صفات الله عز وجل فإننا وإن كنا نعلم معاني هذه الصفات لكننا لا ندرك حقائقها وكيفيتها لقوله تعالى :

﴿ ولا يُحيطون به علماً ﴾ . [طه ١١٠]

وقوله تعالى :

﴿ لا تُدركه الأبصار وهو يُدرِك الأبصارَ وهو اللطيف الخبير ﴾ . [الأنعام ١٠٣]

ولهذا لما سئل الإمام مالك رحمه الله تعالى عن قوله تعالى :

﴿ الرحمٰن على العرش استوى ﴾ كيف استوى قال : الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة .

وهذا النوع لا يُسأل عن استكشافه لتعذر الوصول إليه .

يفهم من قول مالك أن كيفية الاستواء مجهولة لنا ، ومعنى الاستواء معلوم وهو العلو .

النوع الثاني : نسبي وهو ما يكون مشتبهاً على بعض الناس دون بعض فيكون معلوماً للراسخين في العلم دون غيرهم . وهذا النوع يسأل عن استكشافه وبيانه لإمكان الوصول إليه إذ لا يوجد في القرآن شيء لا يتبين معناه لأحد من الناس قال الله تعالى :

﴿ هذا بيانٌ للناس وهُدىً وموعظة للمتقين ﴾ . [آل عمران ١٣٨]

وقال : **﴿ ونزَّلنا عليك الكتاب تبياناً لِكل شيء ﴾** . [النحل ٨٩]

وقال : **﴿ فإذا قرأناه فاتَّبِع قرآنه ثم إن علينا بيانه ﴾** . [القيامة ١٨]

وقال : **﴿يا أيها الناس قد جاءكم بُرهان مِن ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً ﴾** . [النساء ١٧٤]

وأمثلة هذا النوع كثيرة منها قوله تعالى : **﴿ ليسَ كمِثلِه شيء ﴾** حيث اشتبه على أهل التعطيل ففهموا منه انتفاء الصفات عن الله تعالى وادَّعوا أن ثبوتها يستلزم المماثلة

وأعرضوا عن الآيات الكثيرة الدالة على ثبوت الصفات له وأن إثبات أصل المعنى لا يستلزم المماثلة .

مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ **ومَن يقتل مؤمناً مُتعَمداً فجزاؤه جهنمُ خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدَّ له عذاباً عظيماً** ﴾ . [النساء ١٣]

حيث اشتبه على الوعيد به ففهموا منه أن قاتل المؤمن عمداً مخلد في النار واطَّردوا ذلك في جميع أصحاب الكبائر وأعرضوا عن الآيات الدالة على أن كل ذنب دون الشرك فهو تحت مشيئة الله تعالى .

ومنها قوله تعالى : ﴿**ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير**﴾ حيث اشتبه على الجبرية ففهموا منه أن العبد مجبور على عمله وادعوا أنه ليس له إرادة ولا قدرة عليه ، وأعرضوا عن الآيات الدالة على أن للعبد إرادة وقدرة وأن فعل العبد نوعان اختياري وغير اختياري .

والراسخون في العلم أصحاب العقول يعرفون كيف يخرجون هذه الآيات المتشابهة إلى معنى يتلاءم مع الآيات الأخرى فيبقى القرآن محكماً كله لا متشابه فيه .

[انظر كتاب اصول علم التفسير للشيخ محمد صالح العثيمين]



الحكمة في تنوع القرآن إلى مُحكم ومتشابه

لو كان القرآن كله محكماً لفاتت الحكمة من الاختبار به تصديقاً وعملاً لظهور معناه وعدم المجال لتحريفه والتمسك بالمتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ؛ ولو كان كله متشابهاً لفات كونه بياناً وهُدىً للناس ، ولما أمكن العمل به وبناء العقيدة السليمة عليه ، ولكن الله تعالى بحكمته جعل منه آيات محكمات يُرجع إليهن عند التشابه وأُخر متشابهات امتحاناً للعباد ليتبين صادق الإيمان ممن في قلبه زيغ فإن صادق الإيمان يعلم أن القرآن كله من عند الله تعالى وما كان من عند الله فهو حق ولا يمكن أن يكون فيه باطل أو تناقض لقوله تعالى :

﴿ لا يأتيه الباطل مِن بين يديه ولا مِن خَلفِه تنزيلٌ مِن حكيم حميد ﴾ . [فصلت ٤٢]

وقوله : **﴿ وَلَو كَانَ مِن عِندِ غَير الله لَوَجَدُوا فِيهَ اختِلَافاً كَثيراً ﴾** . [النساء ٨٢]

وأما مَن في قلبه زيغ فيتخذ مِن المتشابه سبيلاً إلى تحريف المحكم واتباع الهوى في التشكيك في الأخبار والاستكبار عن الأحكام ولهذا تجد كثيراً من المنحرفين في العقائد والأعمال يحتجون على انحرافهم بهذه الآيات المتشابهة .

[انظر كتاب أصول في التفسير للشيخ محمد بن صالح العثيمين بزيادة أمثله]

وعن عائشة قالت : **تلا رسول الله ﷺ هذه الآية :**

﴿ هُوَ الَّذِىَ أَنزَلَ عَلَيكَ الكِتَاب مِنهُ آياتٌ محكَمَاتٌ هُنَّ أُمُ الكِتَاب وَ أُخرُ مُتَشَابهات ، فَأَمَّا الَّذينَ في قُلُوبهم زَيغٌ فَيَتَّبعونَ مَا تَشَابهَ مِنهُ ابتِغَاءَ الفِتنَةِ وَابتِغَاءَ تَأويلِهِ ، وَمَا يَعلَمُ تَأويلَهُ إلاَّ الله وَالرَّاسخُونَ في العِلمِ يَقُولُون ءامَنَّا بِهِ كُلٌ مِن عِندِ رَبنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إلاَّ أُولُوا الأَلبَاب ﴾ . [آل عمران ٧]

قال رسول الله ﷺ : **«فإذا رأيت الذين يتَّبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سَمَّى الله فاحذرهم»** . [متفق عليه]

كيف تنتفع بالقرآن الكريم ؟

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السمعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ . [سورة ق ٣٧]

إذا أردت الانتفاع بالقرآن ، فاجمع قلبك عند تلاوته ، وألق سمعك ، واحضر حضور من يخاطبه به ، فإنه خطاب منه سبحانه لك على لسان رسوله ﷺ .

وذلك أن تمام التأثير لما كان موقوفاً على مؤثر مُقتضٍ ، ومحل قابل ، وشرط لحصول الأثر ، وانتفاء المانع الذي يمنع منه : تضمنت الآية بيان ذلك كله بأوجز لفظ وأبينه ، وأدله على المراد .

فقوله : ﴿ إن في ذلك لَذِكرى ﴾ إشارة إلى ما تقدم من أول سورة قٓ إلى هٰهنا ، وهذا هو المؤثر .

وقوله : ﴿ لِمَن كان له قلب ﴾ فهذا هو المحل القابل ، والمراد به : القلب الحي الذي يعقل عن الله ، كما قال تعالى :

﴿ إنْ هُوَ إلا ذِكرٌ وَقرءَانٌ مُبينٌ ، لِيُنذرَ مَن كَانَ حَيّاً ﴾ . [سورة يس ٦٩-٧٠]

(أي حي القلب) .

وقوله : ﴿ أو ألقى السمع ﴾ أي وجَّه سمعه وأصغى حاسة سمعه إلى ما يقال له وهذا هو شرط التأثير بالكلام .

وقوله : ﴿ وهو شهيد ﴾ أي شاهد القلب حاضر ، غير غائب .

قال ابن قتيبه : استمع لكتاب الله ، وأنت شاهد القلب والفهم ، ليس بغافل ولا ساهٍ .

وهو إشارة إلى المانع من حصول التأثير : وهو سهو القلب وغيبته عن تعقل ما يقال له ، والنظر فيه وتأمله .

فإذا حصل المؤثر ، وهو القرآن ، والمحل القابل ، وهو القلب الحي ، ووجد الشرط ، وهو الإصغاء ، وانتفى المانع ، وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب ، وانصرافه إلى شيء آخر : حصل الأثر ، وهو الانتفاع بالقرآن والتذكر .

[انظر الفوائد لابن القيم ص ٣-٥]

كيف تقرأ القرآن ؟

قال الله تعالى : ﴿ ورَتِّل القرآن ترتيلاً ﴾ . [المزمل ٤]

اِقرأه على تمهُّل ، فإنه يكون عوناً على فهم القرآن وتدبره :

سُئلت ، أُم سَلَمة عن قراءة رسول الله ﷺ فقالت :

كان ﷺ يقطع قراءته آية آية : ﴿ **بسم الله الرحمٰن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . الرحمٰن الرحيم . مالك يوم الدين** ﴾ [صحيح رواه الترمذي]

ويستحب الترتيل وتحسين الصوت وعدم السرعة في القراءة .

قال ﷺ : «**حَسّنوا القرآن بأصواتِكم ، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حُسناً**» .

[صحيح رواه أبو داود وغيره]

وقال ابن مسعود : **لا تنثروه نثر الرمل ، ولا تهذُّوه هَذَّ الشعر ، قفوا عند عجائبه ، وحرِّكوا به القلوب ، ولا يكن هَمُّ أحدكم آخِرَ السورة** . [رواه البخاري]

لا يجوز أن تقول بعد النهاية من قراءة القرآن (**صدق الله العظيم**) ، لأن قراءة القرآن عبادة لا تجوز الزيادة فيها إلا إذا ورد نص من الشارع ، ولم يرد فيها شيء :

سمع الرسول ﷺ القرآن من ابن مسعود ، فلما وصل إلى قول الله تعالى :

﴿ **وجئنا بك على هٰؤلاء شهيداً** ﴾ ، فقال له الرسول ﷺ : (**حَسْبُك**) [رواه البخاري]

ولم يقل ابن مسعود (**صدق الله العظيم**) ولم يأمره بها .

إن هذه البدعة أماتت سنة ، وهي الدعاء لقول الرسول ﷺ :

«**من قرأ القرآن فليسأل الله به**» . [حسن رواه الترمذي]

فعلى القارىء أن يدعو الله بما شاء بعد القراءة ، ويتوسل إلى الله بما قرأه ، فهو من العمل الصالح المسبب لقبول الدعاء . ومن المناسب قراءة هذا الدعاء :

﴿ **اللهمَّ إني عبدُك ، وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماض فيَّ حُكمُك عدْلٌ فيَّ قضاؤك ، أسألك بكُلِّ اسم هُوَ لَكَ ، سَمَّيْتَ به نفسَك ، أو أنزلتَه في كتابك أو عَلَّمْتَهُ أحَداً من خَلقكَ ، أو استأثرْتَ به في علمِ الغيب عندَك أن تجعلَ القرآن ربيع قلبي ، ونور بصري ، وجلاء حزني ، وذهابَ هَمِّي وغَمِّي** ﴾ . [صحيح رواه أحمد]

« القرآن حجة لك أو عليك »

هذا الحديث الصحيح رواه مسلم يقسم القراء إلى قسمين :

١ ـ القارىء الذي يقرأ القرآن ويكون حجة له يوم القيامة هو الذي يعمل بأوامره ، ويبتعد عن نواهيه فيحل حلاله ، ويحرم حرامه ، ويحكم به ، ويتحاكم إليه ، ويرضى بحكمه ، ويتدبر معانيه عملاً بقوله تعالى :

﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ، وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلبَابِ ﴾ .

[سورة ص ٢٩]

ويكثر من تلاوته وحِفظه وسماعه من غيره ، ولا سيما محطة الإذاعة للقرآن الكريم في السعودية وغيرها ، ومن الأشرطة المسجلة لمشاهير القُراء كالمنشاوي والحصري وغيرهما ، فيستفيد مع عائلته مِن تلاوته وتفسيره : فإذا قرأ أو سمع قوله تعالى

﴿ وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً ﴾ . [الإسراء ٣٤]

بادر إلى الوفاء بالعهد والوعد مع ربه وإخوانه .

٢ ـ القارىء الذي يقرأ القرآن ويكون حجة عليه هو الذي لا يعمل بأوامره ، ولا يبتعد عن نواهيه ، ولا يحل حلاله ولا يُحرم حرامه ، ولا يحكم به ، ولا يتحاكم إليه ، ولا يرضى بحُكمه ، ولا يهمه فهمه وتدبره وتطبيقه . . فإذا قرأ أو سمع قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ نَبتَهِل فَنَجعل لَّعنَتَ الله عَلىَ الكَاذِبِين ﴾ . [آل عمران ٦١]

فترى هذا القارىء يكذب على الناس في حديثه ، ووعده ، ومُعاملاته ، وعقوده ومن المؤسف أن ترى مِن الكفار من يلتزم الصدق في مُعاملته وعقوده ووعوده ، وحدثني ولدي أنه رأى في باريس حديقة الحيوانات ، ورأى فيها حيواناً له يدان ، فإذا ألقى إليه إنسان شيئاً أمسَكه بيده ، وبما أن أحد المشاهدين لم يجد شيئاً معه ، فأشار بيده إلى الحيوان دون أن يلقي إليه شيئاً ، فرآه الفرنسي حارس الحديقة ، وتقدم إلى هذا المسلم يوبخه على كذِبه على الحيوان ! !

وهذه القصة تذكرنا بقصة جرت مع الإمام البخاري رحمه الله حينما رحل إلى بلد بعيد لِيأخذ الحديث عن رجل سمع به ، فلما وصل إليه بعد سَفر طويل ومشقة وجدَه يُنادي حيواناً بيده وذيله دون أن يكون معه شيء ، فرجع البخاري ولم يأخذ عَنه الحديث ، لأن الذي يكذب على الحيوان قد يكذب على رسول الله ﷺ .
ونرى كثيراً من الناس يكذب بحجة المزح ، أو يكذب على ولده ، ولا يدري أن هذا مسجل عليه في أعماله وفي الحديث :
«أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك الكذب ولو كان مازحاً» . [حسنه الألباني]
فعليك يا أخي المسلم أن تعمل بما تقرأ وتسمع حتى يكون القرآن حجة لك لا عليك ، ولا سيما حفظة القرآن والمشتغلين بعلومه وتفسيره ، فكثير من حفظة القرآن ومفسريه لا يتقيدون بتعاليمه وآدابه .

وهناك من الرجال من يحفظ القرآن ، ويشتغل بتفسيره مدة طويلة ولكنه لا يتورع عن الكذب ورمي إخوانه بأقبح الخصال ، والفحش من الكلام ، دون سبب موجب ، حتى لقد حكم على رجل مُحدِّث عالم جليل سلفي العقيدة بأنه يحترق في نار جهنم !! وهاجم أحد إخوانه في الحرم المكي وقال له :
يا جاهل يا ضال أنت ترد عليَّ !!! علماً بأن أخاه نصحه وبيَّن أخطاءه بلطف ، ولكن أخذته العزة بالإثم ، فخاصم وفجر في بيت الله الحرام ، مع أن المشرك قبل الإسلام كان يحترم الحرم ، فإذا وجد قاتل أبيه أعرض عنه احتراماً لبيت الله الحرام ؛ فماذا استفاد هذا الرجل من حفظه للقرآن وتفسيره ؟ لا شك أنه سيكون حجة عليه كما ورد عن الصادق المصدوق : **«والقرآن حجة لك أو عليك»** .
[رواه مسلم]
وأعرف من حفظة القرآن مَن يتخذه مهنة ليقرأه على الأموات ويأخذ الأموال ويأكل الطعام على الموائد ، وقد حذر رسول الله ﷺ أُمته فقال :
١ ـ اقرأوا القرآن واعملوا به ، ولا تجفوا عنه ، ولا تغلوا فيه ، ولا تأكلوا به ، ولا تستكثروا به» . [صحيح رواه الإمام أحمد وغيره]
٢ ـ «اقرأوا القرآن وسلوا الله به ، قبل أن يأتي أقوام يقرؤون القرآن فيسألون به الناس» [صحيح رواه الإمام أحمد وغيره]

التحذير من هجر القرآن

﴿ وقال الرسولُ يا ربِ إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً ﴾ . [الفرقان ٣٠]

يقول الله تعالى مخبراً عن رسوله ونبيه محمد ﷺ أنه قال :

﴿ يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً ﴾ .

وذلك أن المشركين كانوا لا يُصغون للقرآن ولا يستمعونه كما قال تعالى :

﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغَوْا فيه لعلكم تغلبون ﴾ . [فصلت ٢٦]

فكانوا إذا تليَ عليهم القرآن أكثروا اللغَط والكلام في غيره حتى لا يسمعونه : فهذا مِن هُجرانه ، وترك الإيمان به وترك تصديقه : مِن هجرانه ، وترك تَدبُّرِهِ وتفهمه : مِن هجرانه ، وترك العمل به وامتثال أوامره واجتناب زواجره: مِن هجرانه ، والعدول عنه إلى غيرِه من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام ، أو طريقة مأخوذة من غيره : مِن هجرانه .

فنسأل الله الكريم المنان القادر على ما يشاء ، أن يُخلصنا مما يُسخطه ويستعملنا فيما يرضيه من حفظ كتابه وفهمه والقيام بمقتضاه آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يحبه ويرضاه إنه كريم وهاب . [انظر تفسير ابن كثير]

هجـــر القـــرآن أنـــواع :

أحدها : هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه.

الثانـي : هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه، وإن قرأه وآمن به.

الثالث : هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه واعتقاد أنه لا يفيد اليقين، وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم.

الرابـع : هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه.

الخامس : هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها، فيطلب شفاء دائه من غيره، ويهجر التداوي به، وكل هذا داخل في قوله :

﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفرقان]

وإن كان بعضِ الهجر أهون من بعض. [الفوائد لابن القيم ١١٣]

توجيه وبيان لفهم معاني بعض آي القران

التحذير من البدع في الدين

قال الله تعالى في حق عيسى عليه السلام :

﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً . وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِم إِلَّا ابْتِغَآءَ رِضْوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا . . ﴾ . [الحديد ٢٧]

﴿ رهَبانية ﴾ منصوب بابتدعوها أي وابتدعوا رهبانية ، فالوقف التام على قوله : ﴿ ورحمة ﴾ ثم يبتدىء ﴿ ورهبانية ابتدعوها ﴾ أي لم نشرعها لهم ، ولم نكتبها عليهم ، بل هم ابتدعوها من عند أنفسهم . [وهم الرهبان من النصارى] .

وفي نصب قوله : ﴿ إلا ابتغاء رضوان الله ﴾ ثلاثة أوجه :

فالصواب : أنه منصوب نصب الاستثناء المنقطع ، أي : لم يفعلوها ولم يبتدعوها إلا لطلب رضوان الله ودل على هذا قوله : ﴿ ابتدعوها ﴾ ثم ذكر الحامل لهم والباعث على ابتداع هذه الرهبانية ، وأنه طلب رضوان الله ؛ ثم ذمهم بترك رعايتها . .

[انظر مدارج السالكين ج٣/٣٢]

وعلق الشيخ حامد الفقي على هذا الكلام بقوله :

والظاهر من سياق الآية مع ما قبلها وما بعدها : أن الله سبحانه وتعالى يقصد إلى ذم الابتداع في الدين ، ويبين أنه مناف للفطرة ، وأن كل من ابتدع بدعة فإن مقتضى الفطرة أن يهن ويضعف عن القيام بها ، لأنها مخالفة ومجافية للفطرة والعقل السليم . فأما الدين الذي شرعه الله الرب العليم الحكيم لإتمام النعمة على عباده ، فإنه لإصلاح الإنسانية وأخذها إلى الصراط المستقيم بفطرة الله التي فطر الناس عليها .

والرهبانية : وهي حرمان الطبيعة البشرية من حقوقها الفطرية في النساء والطعام واللباس والراحة والنوم ونحوها منافية للفطرة ، فمحال أن يقدر الإنسان على الوفاء بها ورعايتها حق الرعاية .

ولذلك غضب النبي ﷺ أشد الغضب على من حاول ذلك ، وقال الله تعالى :

﴿ قُل مَن حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِيٓ أَخرَجَ لِعِبادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرزق ﴾ . [الأعراف ٣٢]

وذكر في كثير من الآيات أنها من وحي الشيطان إلى أوليائه والله أعلم .

[انظر هذا التعليق في كتاب التفسير القيم لابن القيم ص٤٨٦]

أقول : لقد تشبه بعض الصوفية بالرهبان ، فلبسوا الصوف ، وحرموا أنفسهم من الطيبات ، مخالفين القرآن وهدي الرسول ﷺ .

التحذير من مخالطة المبتدعة

قال الله تعالى :

﴿ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيطَانُ ، فلا تَقعُد بَعدَ الذِكرَىٰ مَعَ القَومِ الظَّالِمِينَ ﴾ .

[الأنعام ٦٨]

والمراد بذلك كل فرد من آحاد الأمة أن لا يجلس مع المكذبين الذين يحرفون آيات الله ، ويضعونها على غير موضعها . [تفسير ابن كثير ج٢]

أقول : وكلمة الظالمين : تشمل المشركين ، والمحرفين ، والمبتدعين في الدين .

وقد حذر ابن القيم منهم فقال :

القسم الرابع : مَن مخالطته الهُلْكُ كله ، ومخالطته بمنزلة أكل السم ، فإن اتفق لآكله ترياق ، وإلا فأحسن الله فيه العزاء ، وما أكثر هذا الضرب في الناس ـ لا كثَّرهم الله ـ وهم أهل البدع والضلالة ، الصادون عن سنة الله ورسول الله ﷺ ، الداعون إلى خلافها ، الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً ، فيجعلون البدعة سنة ، والسنة بدعة ، والمعروف منكراً ، والمنكر معروفاً .

١ ـ إن جرَّدت التوحيد بينهم قالوا : تنقصت جناب الأولياء الصالحين !

٢ ـ وإن جرَّدت المتابعة لرسول الله ﷺ قالوا : أهدرت الأئمة المتبوعين !

٣ ـ وإن وصفت الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه رسوله من غير غُلُوٍّ ولا تقصير قالوا : أنت من المشبهين !

٤ ـ وإن أمرت بما أمر الله به ورسوله من المعروف ، ونهيت عما نهى الله عنه ورسوله من المنكر قالوا : أنت من المفتنين !

٥ ـ وإن اتبعت السنة وتركت ما يخالفها قالوا : أنت من أهل البدع المضلين !

٦ ـ وإن انقطعت إلى الله تعالى ، وخليت بينهم وبين جيفة الدنيا قالوا : أنت من الملَبسين !

٧ ـ وإن تركت ما انت عليه ، واتبعت آهـواءهم ، فأنت عند الله من الخاسرين ، وعندهم من المنافقين !

فالحزم كل الحزم : التماس مرضاة الله تعالى ورسوله بإغضابهم ، وأن لا تشتغل بأعتابهم ، ولا باستعتابهم ، ولا تبال بذمهم ، ولا بغضهم ، فإنه عَينُ كمالك ، فإنه كما قيل :

وإذا أتتـك مَذمـتي من ناقص فهـي الشـهـادة لي بأني فاضـل

[انظر تفسير القيم لابن القيم ص ٦٣٠]

أقول : لابد من دعوة مثل هؤلاء إلى الحق بالتي هي أحسن لإقامة الحجة عليهم امتثالاً لأمر الله تعالى مخاطباً رسوله الكريم ﷺ :

﴿ وَجَادِلْهم بالَّتي هِي أَحسَنُ ﴾ . [النحل ١٢٥]

﴿ وَاصبر وَمَا صَبرُكَ إلَّا بالله وَلَا تَحزَن عَلَيهم وَلَا تَكُ في ضَيقٍ مِمَّا يَمكُرُون إنَّ الله مَعَ الَّذِين اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحسنُونَ ﴾ . [النحل ١٢٧ ـ ١٢٨]

٨ـ قال الله تعالى : ﴿ ادْعُ إلىٰ سَبيل رَبِّكَ بالحكْمَة وَالمَوعظة الحسنة ﴾ [النحل ١٢٥]

يقول الله تعالى آمراً رسـوله محمداً ﷺ أن يدعو الخلق إلى الله بالحكمة : وهو ما أُنزل عليه من الكتاب ، والسنة ، والموعظة الحسنة : أي ما فيه من الزواجر .

٩ـ يقول الله تعالى : ﴿ وجَادلْهم بالتي هي أحسن ﴾ [النحل ١٢٥]

أي مَن احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب كقوله تعالى :

﴿ ولا تجادلوا أهلَ الكتاب إلا بالتي هيَ أحْسَنُ إلا الَّذينَ ظَلَمُوا منهم ﴾ [العنكبوت ٤٦]

فأمره تعالى بلين الجانب كما أمر به موسى وهارون عليهما السلام حين بعثهما إلى فرعون في قوله : ﴿ فقُولا لَهُ قولاً لَيِّناً لعلَّه يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طَه ٤٤]



علاقة الشرك بالإفساد في الأرض

قال الله تعالى :

﴿ وَلَا تُفسِدُوا فِي الأرضِ بَعدَ إصلاَحِهَا ﴾ . [الأعراف ٥٦]

قال أكثر المفسرين : لا تفسدوا فيها بالمعاصي والدعاء إلى غير طاعة الله بعد إصلاح الله إياهـا ببعث الـرسـل وبيان الشريعة ، والدعاء إلى طاعة الله فإن عبادة غير الله والدعوة إلى غيره والشرك به هو أعظم فساد في الأرض ، بل فساد الأرض في الحقيقة إنما هو الشرك به ومخالفة أمره : قال تعالى :

﴿ ظهر الفسادُ في البَر والبحر بما كسبت أيدي الناس ﴾ . [الروم ٤١]

وبالجملة فالشرك والدعوة إلى غير الله ، وإقامة معبود غيره ، ومُطاع مُتَّبَع غير رسول الله ﷺ : هو أعظم الفساد في الأرض ، ولا صلاح لها ولا لأهلها إلاّ بأن يكون الله وحده هو المعبود ، والدعوة له لا لغيره ، والطاعة والاتباع لرسوله ليس إلا ، وغيره إنما تجب طاعته إذا أمر بطاعة الرسول ، فإذا أمر بمعصيته وخلاف شريعته فلا سمع له ولا طاعة ، فإن الله أصلح الأرض برسوله ودينه ، وبالأمر بتوحيده ، ونهى عن إفسادها بالشرك به ، وبمخالفة رسوله .

ومَن تدبر أحوال العالم وجد كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله ، وكل شر في العالم ، وفتنة وبلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك فسببه مخالفة رسوله والدعوة إلى غير الله ورسوله . [انظر تفسير القيم لابن القيم ص ٢٥٥]



محبة غير الله كحب الله شرك

قال الله تعالى :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُم كَحُبِّ اللهِ ، وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لله ﴾ . [البقرة ١٦٥]

[الأنداد : جمع نِد : وهو المثيل والنظير] .

قال ابن القيم : أخبر تعالى أن من أحب من دون الله شيئاً كما يحب الله تعالى ، فهو ممن اتخذ من دون الله أنداداً ، فهذا نِد في المحبة ، لا في الخَلق والربوبية ، فإن أحداً من أهل الأرض لم يُثبت هذا النِد ، بخلاف نِد المحبة ، فإن أكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون الله أنداداً في الحب والتعظيم .

وقوله : ﴿ يُحبونهم كحُب الله ﴾ أي يُحبونهم كما يحبون الله ، فيكون قد أثبت لهم محبة الله ، ولكنها محبة يشركون فيها مع الله أنداداً .

ثم قال : ﴿ والذين آمنوا أشد حباً لله ﴾ .

أي والذين آمنوا أشد حباً لله من أصحاب الأنداد لأندادهم ، وآلهتهم التي يحبونها ، ويعظمونها من دون الله .

ورجح شيخ الإسلام ابن تيمية هذا التفسير حين قال :

إنما ذُموا بأن اشركوا بين الله وبين أندادهم في المحبة ولم يخلصوها لله ، كمحبة المؤمنين له ، وهذه التسوية المذكورة في قوله تعالى : مخبراً عنهم وهم في النار : أنهم يقولون لآلهتهم وأندادهم ، وهي محضرة معهم في العذاب :

﴿ تَالله إن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ، إذ نُسَوِّيكُم بِرَب العَالَمِينَ ﴾ . [الشعراء ٩٧ - ٩٨]

ومعلوم أنهم لم يُسووهم برب العالمين في الخلق والربوبية ، وإنما سوَّوهم به في المحبة والتعظيم . [انظر مدارج السالكين لابن القيم ج٣/١٣ - ١٤]

أقول : إن بعض المسلمين من الصوفية يحبون مشايخهم ويعظمونهم كما يحبون الله ، متشبهين بالمشركين الذي ذمهم الله في الآية الأولى ، والبعض من المسلمين - مع

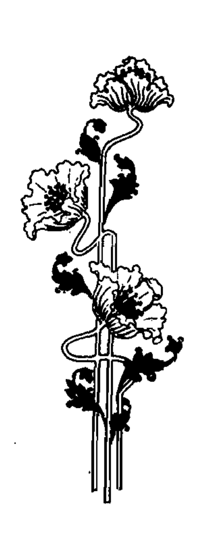
الأسف الشديد ـ يدعون أولياءهم كما يدعون الله ، فقد ساووا بينهم وبين الله في الدعاء وهو من العبادة التي لا تجوز إلا لله ، فتنطبق عليهم الآية الأخيرة ، وفي الحديث :

«الدعاء هو العبادة» . [رواه الترمذي وقال حسن صحيح]

ومن الصوفية من يسوي بين الله ومخلوقاته كابن عربي المدفون بدمشق حيث يقول :

الرب عبد ، والعبد رَب   ياليت شعري مَن المكلف ؟

تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .



الله فوق العرش على السماء

قال الله تعالى :

﴿ **وَهُوَ اللهُ فِي السَّمٰوَاتِ وَفِي الأَرضِ يَعلَمُ سِرَّكُم وَجَهرَكُم وَيَعلَمُ مَا تَكسِبُونَ** ﴾ . [الأنعام ٣]

كثيراً ما تسأل مسلماً : أين الله ؟ فيجيبك : في كل مكان ويستشهد بهذه الآية ، أو بغيرها ، ولو عرف تفسير الآيات لما استشهد بها على جوابه الخطأ .

قال ابن كثير : اختلف مفسرو هذه الآية على أقوال بعد اتفاقهم على إنكار قول الجهمية (فرقة ضالة) الأول القائلين ـ تعالى عن قولهم علواً كبيراً ـ بأنه في كل مكان ، حيث حملوا الآية على ذلك .

١ ـ فالأصح من الأقوال أنه المدعو الله في السموات وفي الأرض أي يعبده ويوحده ، ويُقر بالإلّهية مَن في السموات ومن في الأرض ، ويسمونه الله ، ويدعونه رغباً ورهباً إلا من كفر من الجن والانس ، وهذه الآية على هذا القول كقوله تعالى :

﴿ **وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وفي الأَرضِ إِلَٰهٌ** ﴾ . [الزخرف ٨٤]

أي هو إلّه مَن في السماء وإلّه مَن في الأرض ، وعلى هذا فيكون قوله :

﴿ **يعلم سركم وجهركم** ﴾ خبراً أو حالاً .

٢ ـ والقول الثاني أن المراد أنه الله الذي يعلم ما في السموات وما في الأرض مِن سِر وجهر ، فيكون قوله : ﴿ **يعلم** ﴾ متعلقاً بقوله : ﴿ **في السموات وفي الأرض** ﴾ تقديره : وهو الله يعلم سركم وجهركم في السموات وفي الأرض ، ويعلم ما تكسبون .

٣ ـ الثالث : أن قوله : ﴿ **وهو الله في السموات** ﴾ وقف تام ، ثم أستأنف الخبر فقال : ﴿ **وفي الأرض يعلم سِركم وجهركم** ﴾ ، وهذا اختيار ابن جرير .

وقوله : ﴿ **ويعلم ما تكسبون** ﴾ أي جميع أعمالكم خيرها وشرها .

[انظر تفسير ابن كثير ج٢/١٢٣]

٤ ـ وأما قوله تعالى : ﴿ **وهو معكم أينما كنتم** ﴾ فقد فسرها ابن كثير بما يلي : (أي رقيب عليكم شهيد على أعمالكم حيث كنتم من بَرٍّ أو بحر في ليل أو نهار في البيوت أو في القفار ، الجميع في علمه على السواء ، وتحت بصره وسمعه ، فيسمع كلامكم ، ويرى مكانكم ، ويعلم سركم ونجواكم) . [ج٤/٣٠٤]

٥ ـ إن القائلين بأن الله في كل مكان أي معنا يسمعنا ويرانا فهذا صحيح ، وإن أرادوا ذاتـه في كل مكـان فهـذا خطأ كبير ، لأن هناك أماكن نجسة وقذرة كالحمامات والمزابل ، فلا يقول عاقل مسلم بأن الله فيها ، تعالى الله عن ذلك .

وبعض المسلمين يقول : إن الله في قلب عبده المؤمن ، ويستندون إلى حديث لا أصل له : «**ما وسعني سمائي ولا أرضي ، وإنما وسعني قلب عبدي المؤمن**» .

فمن قال إن الله يحل في قلوب الناس فهو أكفر من النصارى الذين خصوا ذلك بالمسيح وحده .

والصحيح أن الله تعالى على السماء وفوق العرش ، والدليل ما يلي :

أ ـ قوله تعالى : ﴿ **ثم استوى إلى السماء** ﴾ . [البقرة ٢٩]

حسب تفسير مجاهد وأبي العالية في البخاري : (أي علا وارتفع) .

ب ـ قول الرسول ﷺ للجارية : «**أين الله ؟**» **فأجابت** : (**في السماء**) **قال لها** : «**من أنا ؟**» **قالت** : (**محمد رسول الله**) ، **فقال لصاحبها** : «**أعتقها فإنها مؤمنة**» .

[رواه مسلم]

يفهم من الحديث : أن من لم يعتقد أن الله في السماء فليس بمؤمن .

(ومعنى في السماء : أي على السماء) .

والاعتقاد بأن الله في السماء هو قول الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين ومن سار على نهجهم .

١ـ **قال الشافعي** : إن الله تعالى على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء، وإن الله ينزل إلى سماء الدنيا كيف شاء . [أخرجه الهكاوي في عقيدة الشافعي]

٢ـ **وقال أبو حنيفة** : مَنْ قال لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض فقد كفر لأن الله يقول : ﴿**الرحمٰن على العرش استوى**﴾ وعرشه فوق سبع سمٰوات ، فإن قال إنه على العرش ، ولكن يقول : لا أدري العرش في السماء أم في الأرض؟ قال : هو كافر لأنه أنكر أنه في السماء ، فمن أنكر أنه في السماء فقد كفر ، لأن الله أعلى عليين ، وهو يُدعىٰ من أعلى لا من أسفل . [شرح العقيدة الطحاوية ٣٢٢]

٣ـ سُئل **الإمام مالك** عن كيفية استواء الله على عرشه فقال : (الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة [أي عن كيفيته] أخرجوا هذا المبتدع)

الخـــوف والرجـــاء

قال الله تعالى : ﴿ وَادعُوهُ خَوفاً وَطَمَعاً ﴾ . [الأعراف ٥٦]

يأمر الله سبحانه وتعالى عباده أن يدعوا خالقهم ومعبودهم خوفاً من ناره وعذابه ، وطمعاً في جنته ونعيمه ، كما قال في سورة الحجر :

﴿ نَبِّىء عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ العَذَابُ الأَلِيمُ ﴾ .
[الحجر ٤٩ - ٥٠]

لأن الخوف من الله يحمل العبد عن الابتعاد عن معاصي الله ونواهيه ، والطمع في جنته ورحمته يحفزه على العمل الصالح ، وكل ما يُرضي ربه .

ما تهدي إليه هذه الآية

١ - أن يدعو العبد ربه الذي خلقه ، وهو الذي يسمع دعاءه ، ويجيبه .

٢ - عدم دعاء غير الله ، ولو كان نبياً أو ولياً أو ملكاً ، لأن الدعاء عبادة كالصلاة لا تجوز إلا لله .

٣ - أن يدعو العبد ربه خائفاً من ناره ، راغباً في جنته .

٤ - في الآية رد على الصوفيين القائلين : بأنهم لا يعبدون الله خوفاً منه ، أو رغبة فيما عنده ؛ لأن الخوف والرغبة من أنواع العبادة ، وقد امتدح الله الأنبياء وهم صفوة البشر فقال :

﴿ إِنَّهُم كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الخَيرَاتِ وَيَدعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُواْ لنا خَاشِعِينَ ﴾ .
[الأنبياء ٩٠]

٥ - في الأية ردٌّ على كتاب (الأربعين النووية) عندما شرح النووي حديث : «**إنما الأعمال بالنيات**» حيث قال :

وإذا وجد العمل وقارنته النية فله ثلاثة أحوال :

الأول : أن يفعل ذلك خوفاً من الله تعالى : وهذه عبادة العبيد .
الثاني : أن يفعل ذلك لطلب الجنة والثواب ، وهذه عبادة التجار .
الثالث : أن يفعل ذلك حياء من الله وتأدية لحق العبودية وتأدية للشكر . . وهذه عبادة الأحرار .

وقد علق الشيخ محمد رشيد رضا على هذا الكلام في (مجموعة الحديث النجدية) فقال:

هذا التقسيم أشبه بكلام الصوفية منه بكلام فقهاء الحديث .

والتحقيق أن الكمال الجمع بين الخوف الذي سماه عبادة العبيد ، وكلنا عبيدالله ، والرجاء في ثواب الله وفضله الذي سماه عبادة التجار .

أقول : والشيخ متولي الشعراوي يتبنى عقيدة الصوفية في كتبه ، حيث ذكر هذا التقسيم السابق ، بل زاد في شططه حينما فسر ـ بالرائى ـ قوله تعالى :

﴿ وَلا يُشرك بِعِبادَة ربه أَحَداً ﴾ . [الكهف ١١٠]

فقال : والجنة أحد .

(كأنه يعني : عبادة الله تعالى طلباً لجنته شرك) .

قال الشعراوي في كتابه (المختار من تفسير القرآن العظيم) :

النوع الثالث: أنه يعبده لأنه يستحق أن يُعبد واستدل بحديث قدسي :

«لو لم أخلق جنة أو ناراً أما كنت أهلاً لأن أُعبد» . [ج٢/٢٥]

وهذا الحديث لم يذكر درجته والظاهر عليه الكذب لأنه يخالف القرآن وهذا الكلام الذي ذكره في كتابه يؤيد ما قاله في الرائي عندما فسر الآية بقوله : (والجنة أحد) .

فإن قال قائل : أراد الشعراوي أن من عبد الجنة فقد أشرك بالله .

نقول له : لا يوجد في الدنيا من يقول : إنه يعبد الجنة ، ولكن هذا التفسير من الشعراوي تدليس وإخفاء لعقيدة الصوفية التي يتبناها في كتبه .

والصوفية تقول : إنما يعبدون الله لا طمعاً في جنته ولا خوفاً من ناره !

الله نور السمٰوات والأرض

قال الله تعالى :

﴿ **الله نُور السَّمَـوَاتِ وَالَأرض مَثَلُ نُورِهِ كَمِشكَوٰةٍ فِيهَا مصبَاحٌ ، المِصبَاحُ في زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَاركَةٍ زَيتونةٍ لا شرَقِيَّةٍ وَلَا غَربيَّةٍ يَكَادُ زَيتُهَا يُضِيٓءُ وَلَو لَم تَمسَسهُ نَارٌ ، نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ ، يَهدِي الله لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضرِبُ الله الَأمثَالَ لِلنَّاسِ والله بِكُل شيَءٍ عَلِيمٌ** ﴾ . [النور ٣٥]

١ ـ وقد فسر ابن القيم قوله تعالى : ﴿ **الله نور السموات والأرض** ﴾ :

بكونه مُنوراً السموات والأرض ، وهادي أهل السموات والأرض ، فبنوره اهتدى أهل السموات والأرض ، وهذا إنما هو فعله وإلا فالنور هو من أوصافه قائم به ، ومنه اشتق له اسم النور الذي هو أحد الأسماء الحسنى .

[إعلام الموقعين لابن القيم ج١ / ١٨٥]

وضرب الله عز وجـل لهذا النور ومحله وحامله ومادته مثلاً بالمشكاة ، وهي الكوة في الحـائط ، فهي مِثل الصدر ، وفي تلك المشكاة زجاجة من أصفى الزجاج ، حتى شبهت بالكوكب الدري في بياضه وصفائه . وهي مِثل القلب ، وشُبه بالزجاجة لأنها جمعت أوصافاً هي في قلب المؤمن ، وهي الصفاء والرقة والصلابة ، فيرى الحق والهدى بصفائه ، وتحصل منه الرأفة والرحمة والشفقة برقته ، ويجاهد أعداء الله تعالى ويَغلظ عليهم ، ويَشتد في الحق ، ويصلب فيه بصلابته ، ولا تُبطل صفةٌ منه صفةً أُخرى ولا تُعارضها ، بل تساعدها وتعاضدها كما قال الله تعالى في وصفهم :

﴿ **أشداء على الكفار ، رحماء بينهم** ﴾ . [الفتح ٢٩]

وفي الزجاجة مصباح ، وهو النور الذي في الفتيلة ، وهي حاملته ، ولذلك النور مادة ، وهـو قد عصر من زيتـونة في أعدل الأماكن تصيبها الشمس أول النهار وآخره ، فزيتها من أصفى الزيت ، وأبعده عن الكدر ، حتى إنه ليكاد من صفائه يضيء بلا نار ، فهذه مادة نور المصباح .

وكذلك مادة نور المصباح الذي في قلب المؤمن : هو من شجرة الوحي التي هي أعظم الأشياء بركة ، وأبعدها عن الانحراف ؛ بل هي أوسط الأمور وأعدلها وأفضلها ، لم تنحرف انحراف النصرانية ، ولا انحراف اليهودية ، بل هي وسط بين الطرفين المذمومين في كل شيء . فهذه مادة مصباح الإيمان في قلب المؤمن .
ولما كان ذلك الزيت قد اشتد صفاؤه ، حتى كاد أن يضيء بنفسه ، ثم خالط النار ، فاشتدت بها إضاءته ، وقويت مادة ضوء النارية فيه كان ذلك نوراً على نور .
وهكذا المؤمن : قلبه مضيء يكاد يعرف الحق بفطرته وعقله ، ولكن لا مادة له من نفسه ، فجاءت مادة الوحي فباشرت قلبه ، فازداد نوراً بالوحي على نوره الذي فطره الله تعالى عليه ، فاجتمع له نور الوحي إلى نور الفطرة .
فليتأمل اللبيب هذه الآية العظيمة ومطابقتها لهذه المعاني الشريفة ، فقد ذكر سبحانه وتعالى نورَه في السموات والأرض ، ونوره في قلب عباده المؤمنين : النور المعقول المشهور بالبصائر والقلوب ، والنور المحسوس المشهود بالأبصار التي استنارت به أقطار العالم العلوي والسفلي ، فهما نوران عظيمان ، وأحدهما أعظم من الآخر .
وكما أنه إذا فُقِدَ أحدهما من مكان أو موضع لم يعش فيه آدمي ولا غيره ، لأن الحيوان إنما يكون حيث النور ، ومواضع الظلمة لا يشرق عليها نور لا يعيش فيها حيوان ولا يكون البتة .
فكذلك أمة فُقد فيها نورُ الوحي والإيمان ميتة ولا بُد ، وقلبٌ فُقد منه هذا النور : ميت ولا بُد ، لا حياة البتة ، كما لا حياة للحيوان في مكان لا نور فيه .
[انظر تفسير القيم لابن القيم ٣٧٤ / والوابل الصيب ٧٣٦]

٢ ـ وفسر الطبري قوله تعالى : ﴿ **يهدي الله لنوره مَن يشاء** ﴾ .
يوفق الله لاتباع نوره ، وهو هذا القرآن من يشاء من عباده .
وقوله تعالى : ﴿ **ويضربُ الله الأمثالَ للناس** ﴾ يقول :
ويمثل الله الأمثال والأشباه للناس كما مثل لهم مَثل هذا القرآن في قلب المؤمن بالمصباح في المشكاة وسائر ما في هذه الآية من الأمثال .
﴿ **والله بكل شيء عليم** ﴾ والله يضرب الأمثال وغيرها من الأشياء كلها ، ذو علم .
[انظر تفسير الطبري ١٨ / ١٤٣]

ما يستفاد من الآية

١ ـ أن الله جعل للمؤمن نوراً يهتدي به .

٢ ـ أن الله يهدي من يشاء من عباده إلى الإيمان .

٣ ـ أن هذه الهداية هي هداية التوفيق .

٤ ـ أن هداية التوفيق بيد الله لايقدر عليها أحد .

٥ ـ استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأذهان والفهم .

٦ ـ أن اسم النور من أسماء الله تعالى .

٧ ـ النور نوعان : نور محسوس كضوء الشمس لا يستغني عنه إنسان ولا حيوان ولا نبات . ونور معنوي : وهو القرآن الذي سماه الله نوراً لا يستغني عنه إنسان يريد الحياة الطيبة .

٨ ـ إذا ظهر نور الشمس المحسوس الذي خلقه الله تعالى ، لم يكن للمصابيح والشموع نور يُذكر ؛ وكذلك إذا ظهر نور الإسلام الذي أنزله الله لعباده ـ وهو نور معنوي ـ يجب أن تزول المبادىء المخالفة له : كالعلمانية ، والماسونية ، والرأسمالية ، والشيوعية ، وغيرها مما يضعه البشر ، وقد زالت الشيوعية ، وستزول بقية الأنظمة المخالفة للإسلام ، بإذن الله تعالى . وصدق الشاعر حين قال :

الله أكبر إن دين محمد ... وكتابه أقوى وأقوم قيلا

لا تُذكَر الكتب السوالف عنده ... طلع الصباح فأطفىء القنديلا



المحو والإثبات في الأجل

قال الله تعالى :

﴿ يَمحُو اللهُ مَا يَشَآءُ وَيُثبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الكِتَابِ ﴾ . [الرعد ٣٩]

قال الطبري : وأولى الأقوال التي ذكرت في ذلك بتأويل الآية وأشبهها بالصواب ، القول الذي ذكرناه عن الحسن ومجاهد ، وذلك أن الله تعالى ذِكرُه توعد المشركين الذين سألوا رسول الله ﷺ الآيات بالعقوبة ، وتهددهم بها ، وقال لهم :

﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يأتِيَ بآيَةٍ إلَّا بإِذنِ اللهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ . [الرعد ٣٨]

يعلمهم بذلك أن لقضائه فيهم أجلاً مثبتاً في كتاب ، هم مؤخرون إلى وقت مجيء ذلك الأجل ، ثم قال لهم : فإذا جاء ذلك الأجل يجيء الله بما شاء ممن دنا أجله وانقطع رزقه ، أو حان هلاكه أو اتضاعه من رفعة أو هلاك مال ، فيقضي ذلك في خلقه ، فذلك محوه ، ويثبت ما شاء ممن بقي أجله ورزقه وأكله :

[أي حظه من الدنيا من البقاء والرزق] فيتركه على ما هو عليه فلا يمحوه .

[انظر تفسير الطبري ج١٦ / ٤٩٠ / تحقيق محمود شاكر]

وقال الطبري في تفسير ﴿ وَعِندَهُ أُمُّ الكِتَابِ ﴾ :

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : (وعنده أصل الكتاب وجملته) .

وذلك أنه تعالى ذكره أخبر أنه يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء ، ثم عقب ذلك بقوله : (وَعِندَهُ أُمُّ الكِتَاب) ، فكان بيناً أن معناه : وعنده أصل المثبت منه ، والممحو ، وجملته في كتاب لديه . [تفسير الطبري ج١٦ /٤٩٨ تحقيق شاكر]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في تفسير الآية :

إن العلماء قالوا : إن المحو والإثبات في صحف الملائكة ، وأما علم الله سبحانه فلا يختلف ، ولا يبدو له ما لم يكن عالماً به ، فلا محو فيه ولا إثبات .

وأما اللوح المحفوظ فهل فيه محو وإثبات ؟ على قولين ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

[انظر الفتاوي مجلد ١٤ /٤٩٢]

أقول هذا التفسير من العلماء يرد على المبتدعين الذين يقرؤون هذه الآية في ليلة النصف من شعبان ، زاعمين أن الله يمحو في هذه الليلة ما يشاء ويثبت .

الزيادة والنقصان في العمر

قال الله تعالى :

﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِن عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ﴾ . [فاطر ١١]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : فقد قيل : إن المراد الجنس : أي ما يُعمر من عمر إنسان ، ولا ينقص من عمر إنسان ، ثم التعمير والتقصير يراد به شيئان :

١ ـ أحدهما أن هذا يطول عمره ، وهذا يقصر من عمره ، فيكون تقصيره نقصاً له بالنسبة إلى غيره ، كما أن المعمر يطول عمره ، وهذا يقصر عمره فيكون تقصيره نقصاً له بالنسبة إلى غيره ، كما أن التعمير زيادة بالنسبة إلى آخر .

٢ ـ وقد يراد بالنقص من العمر المكتوب ، كما يراد بالزيادة الزيادة في العمر المكتوب .

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال :

«مَن سره أن يُبسَط له في رِزقه ، ويُنسأ له في أثَره فليصِل رحمه» .

وقد قال بعض الناس : إن المراد به البركة في العمر ، بأن يعمل في الزمن القصير ما لا يعمله غيره إلا في الكثير ، قالوا : لأن الرزق والأجل مقدران مكتوبان .

فيقال لهؤلاء : تلك البركة والزيادة في العمل ، والنفع أيضاً مقدرة مكتوبة ، وتتناول لجميع الأشياء .

والجواب المحقق : أن الله يكتب للعبد أجلاً في صحف الملائكة ، فإذا وصل رحمه زاد في ذلك المكتوب ، وإن عمل ما يوجب النقص نقص من ذلك المكتوب ، ونظير هذا في الترمذي وغيره عن النبي ﷺ قال :

«إن آدم لما طلب من الله أن يُريه صورة الأنبياء من ذريته ، فأراه إياهم ، فرأى فيهم رجلاً له بصيص ، فقال : من هذا يا رب ؟ فقال : ابنك داود ، قال : فكم عمره ؟ قال : أربعون سنة . قال : وكم عمري ، قال : ألف سنة . قال : فقد وهبتُ له من عمري ستين سنة ، فكتب عليه كتاب ، وشهدت عليه الملائكة ، فلما حضرته الوفاة قال قد بقي من عمري ستون سنة . قالوا وهبتها لابنك داود ، فأنكر ذلك ، فأخرجوا الكتاب . قال النبي ﷺ : «فنسى آدم فنسيت ذريته ، وجحد آدم فجحدت ذريته» . [رواه الترمذي وقال حسن صحيح مع اختلاف الألفاظ]

[انظر الفتاوى ج١٤/ ٤٩٠]

طريق الحق واحد وطرق الضلال كثيرة

١ ـ قال الله تعالى :

﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُستَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ ولا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُم عَن سَبِيلِهِ ، ذَلِكُم وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ ﴾ . [الأنعام ١٥٣]

٢ ـ **وقال ابن مسعود : «خط لنا رسول الله ﷺ خطاً بيده ، ثم قال : هذا سبيل الله مستقيماً وخط خطوطاً عن يمينه وشماله ، ثم قال : هذه السبل ، ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ، ثم قرأ قوله تعالى :**

﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه ﴾ الآية» . [صحيح رواه أحمد والنسائي]

فوحّد لفظ الصراط وسبيله ، وجمع السبل المخالفة له ، لأن الطريق الموصل إلى الله واحد ، وهو ما بعث به رسله وأنزل به كتبه ، لا يصل إليه أحد إلا من هذه الطريق . ولو أتى الناس من كل طريق ، واستفتحوا من كل باب ، فالطُرق عليهم مسدودة ، والأبواب عليهم مغلقة ، إلا من هذا الطريق الواحد ، فإنه متصل بالله ، موصل إلى الله قال الله تعالى :

﴿ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُستَقِيمٌ ﴾ (أي صراط موصِل إليَّ) . [الحجر ٤١]

وقال مجاهد : (الحق يرجع إلى الله ، وعليه طريقه ، لا يعرج على شيء) وهو من أصح ما قيل في الآية .

وقيل : (عليَّ) فيه للوجوب ، أي عليَّ بيانه وتعريفه والدلالة عليه .

والقولان نظير القولين في آية النحل وهي :

﴿ وَعَلَى الله قَصدُ السَّبِيلِ ﴾ . [النحل ٩]

والصحيح فيها كالصحيح في آية الحجر : أن السبيل القاصد ـ وهو المستقيم المعتدل ـ يرجع إلى الله ، ويوصل إليه . [انظر التفسير القيم لابن القيم ١٤ ـ ١٥]

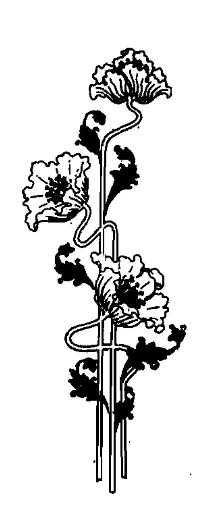
٣ ـ أقول : من هذه الآية الكريمة ، ومن هذا الحديث الشريف يتبين للمسلم أن طريق الحق واحد ، وهو صراط الله المستقيم الذي أمرنا الله باتباعه ، والصراط : هو

الإسـلام المتمثـل في الكتاب والسُّنة الصحيحة ، من تمسك بهما فقد هُدي إلى صراط الله المستقيم .

وتفيد الآية والحـديث أن طرق الضلال كثيرة : وهي التي ابتعدت عن الكتاب والسنـة ، وابتـدعت لنفسها بدعاً ينكرها الإسلام فمشت في الظلمات ، وتركوا صراط الله الذي فيه النور والهداية ، لذلك قال الله تعالى :

﴿ الله وَليُّ الَّذينَ ءَامَنُواْ يُخرجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إلَى النُّور وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوليَآؤُهُم الطَّاغُوتُ يُخرجُونَهُم مِنَ النُّورِ إلى الظُّلُماتِ أُولَئك أَصحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ . [البقرة ١٥٧]

ففي هذه الآية وحَّد طريق النور ، وجمع طرق الظلمات ، كما جاء في الآية الأولى والحديث المتقدم ، وهذا يدل على أن طريق الحق واحد ، وطرق الضلال كثيرة .



المفهوم الصحيح لآية الهداية

قال الله تعالى :

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ، وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ . [القصص ٥٦]

إذا أردت أن تنصح إنساناً وتدعوه إلى الهُدى ، فسرعان ما يقول لك بعضهم : دعه فإنك لا تهدي من أحببت !

ولو عرف هذا المعترض معنى هذه الآية ، ومعنى الهداية في الآية ، وسبب نزولها ، لم يقل هذا الكلام .

١ ـ ذكر العلامة القاسمي في تفسير هذه الآية ما نصه :

﴿ إنك لا تهدي من أحببت ﴾ أي لا تقدر أن تُدخل في الإسلام كل من أحببت أن يدخل فيه من قومك وغيرهم ، ﴿ ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ :

أي أن يهديه فيدخله في الإسلام بعنايته .

﴿ وهو أعلم بالمهتدين ﴾ أي : القابلين للهداية لاطلاعه على استعدادهم ، وكونهم غير مطبوع على قلوبهم . [محاسن التأويل ١٣/١١٥]

٢ ـ أما سبب نزولها فقد ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره ما نصه :

وقد ثبت في الصحيحين أنها نزلت في أبي طالب عم رسول الله ﷺ ، وقد كان يحوطه وينصره ويقوم في صفه ويحبه حباً شديداً طبعياً لا شرعياً ، فلما حضرته الوفاة وحان أجله دعاه رسول الله ﷺ إلى الإيمان والدخول في الإسلام ، فسبق القدر فيه ، واختطفه من يده ، فاستمر على ما كان عليه من الكفر ولله الحكمة البالغة . [ج٣/٣٩٤]

٣ ـ وذكر سبب النزول الإمام مسلم في كتاب الإيمان :

باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ، ما لم يشرع في النزع ، وهو الغرغرة ، ونسخ جواز الاستغفار للمشركين ، والدليل على أن من مات على الشرك فهو في أصحاب الجحيم ، ولا ينقذه من ذلك شيء من الوسائل .

ثم ذكر السبب بطوله وخلاصته : لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فقال له : «**يا عم ! قل : لا إله إلا الله ، كلمة أشهد لك بها عند الله**» ، وأبى أن يقول : لا إله إلا الله فقال رسول الله ﷺ : «**أما والله لأستغفرن لك ما لم أُنهَ عن ذلك**» .

فأنزل الله عز وجل :

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَن يَسۡتَغۡفِرُوا لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓا أُولِي قُرۡبَىٰ مِن بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ الۡجَحِيمِ ﴾ . [التوبة ١١٣]

وأنزل الله تعالى في أبي طالب ، فقال لرسول الله ﷺ :

﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ ﴾ . [القصص]

قوله : «**لما حضرت أبا طالب الوفاة**» المراد قربت وفاته وحضرت دلائلها ، وذلك قبل المعاينة والنزع ، ولو كان في حال المعاينة والنزع لما نفعه الإيمان .

[انظر صحيح مسلم ج١/٥٤]

أقـول : في هذه الآية ، وهذا الحديث يثبت أن أبا طالب مات كافراً ، وفيه رد صريح على القائلين بنجاة أبي طالب .

ولا سيما ما رواه العباس بن عبدالمطلب أنه قال : يا رسول الله هل نفعتَ أبا طالب بشيء ؟ فإنه كان يحوطك ويغضب لك ؟ قال : «**نعم . هو في ضحضاح من نار . ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**» . [رواه مسلم]

وفي رواية : «**فيُجعل في ضَحْضاح من نار ، يبلغ كعبيه ، يَغلي منها دماغه**» .

[رواه مسلم]

٤ ـ ومعنى الهداية الواردة في الآية : ﴿ **إنك لا تهدي من أحببت** ﴾ هي هداية التوفيق الخاصة بالله ، أما الهداية بمعنى دعوة الناس إلى الإسلام فهي عامة في حق الله والرسول ﷺ ، وكل داع ، وقد قام الرسول ﷺ بدعاء أبي طالب لهدايته وإسلامه ، فأبى الإسلام ومات كافراً ، فنزلت الآية . ونحن نقوم بدعوة الناس إلى هدايتهم ، فإذا أعرضوا ندعوا لهم بهداية التوفيق ، ولا يجوز أن نترك دعوتهم ، ونحتج بهذه الآية إلا في حادثة شبيهة بحادثة أبي طالب ، كأن ندعوَ كافراً إلى الإسلام فيأبى ويموت كافراً .



أنواع الهداية في القرآن الكريم

وهداية الله تعالى للإنسان على أربعة أوجه ذكرها الراغب الأصفهاني :

١ ـ الهداية التي عم بجنسها كل مكلف من العقل ، والفطنة ، والمعارف الضرورية التي أعم منها ، كل شيء بقدر فيه حسب احتماله ، كما قال تعالى :

﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِيٓ أَعطَىٰ كُلَ شيءٍ خَلقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ . [طه ٥٠]

٢ ـ الهداية التي جعل الناس بدعائه إياهم على ألسنة الأنبياء ، وإنزال القرآن ، ونحو ذلك ، وهو المقصود بقوله تعالى :

﴿ وَجَعَلنَاهُم أَئِمَّةً يَهدُونَ بِأَمرِنَا ﴾ . [الأنبياء ٧٣]

٣ ـ هداية التوفيق الذي يختص به من اهتدى ، وهو المعنى بقوله :

﴿ وَالَّذِينَ اهتَدَوا زَادَهُم هُدىً وَءَاتَاهُم تَقوَاهُم ﴾ . [محمد ١٧]

﴿ وَمَن يُؤمِن بِالله يَهدِ قَلبه ﴾ . [التغابن ١١]

﴿ إِنَّ الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهدِيهِم رَبُّهُم بِإِيمَانِهِم ﴾ . [يونس ٩]

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدوُا فِينَا لَنَهدِيَنَّهُم سُبُلَنَا ﴾ . [العنكبوت ٦٩]

﴿ وَيَزِيدُ الله الَّذِينَ اهتَدَوا هُدىً ﴾ . [مريم ٧٦]

﴿ فَهَدَى الله الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اختَلَفُوا فِيهِ مِنَ الحَقِ بِإِذنِهِ والله يَهدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُستَقِيمٍ ﴾ . [البقرة ٢١٣]

٤ ـ الهداية في الآخرة إلى الجنة المعني بقوله :

﴿ سَيَهدِيهِم وَيُصلِح بَالَهُم ﴾ . [محمد ٥]

﴿ وَنَزَعنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِن غِلٍ تَجرِي مِن تَحتِهِم الأنهَارُ وَقَالُوا الحَمدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنهتَدِيَ لَولآ أَن هَدَانَا الله ﴾ . [الأعراف ٤٣]

وهذه الهدايات الأربع مترتبة :

أ ـ فإن لم تحصل له الأولى لا تحصل له الثانية ، بل لا يصح تكليفه .

ب ـ ومن لم تحصل له الثانية لا تحصل له الثالثة والرابعة .

ج ـ ومن حصل له الرابع فقد حصل له الثلاث التي قبلها .
د ـ ومن حصل له الثالث ، فقد حصل له اللذان قبله .
هـ ـ ثم ينعكس ، فقد تحصل الأولى ، ولا يحصل له الثاني ، ولا يحصل له الثالث .

والإنسان لا يقدر أن يهدي أحداً إلا بالدعاء وتعريف الطرق دون سائر أنواع الهدايات .

١ ـ وإلى الثانية (التي هي الدعاء وتعريف الطرق) أشار بقوله تعالى :

﴿ وَإِنَّكَ لَتَهدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّستَقِيمٍ ﴾ . [الشورى ٥٢]

وقوله : ﴿ وَلِكُلِ قَومٍ هَادٍ ﴾ ، (أي داع) . [الرعد ٧]

٢ ـ وإلى سائر الهدايات أشار بقوله تعالى :

﴿ إِنَّكَ لاَ تَهدِي مَن أَحبَبتَ ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ . [القصص ٥٦]

٣ ـ وكل هداية ذكر الله عز وجل أنه منع الظالمين والكافرين فهي الهداية الثالثة ، وهي التوفيق الذي يختص به المهتدون .

٤ ـ والرابعة التي هي الثواب في الآخرة وإدخال الجنة نحو قوله عز وجل :

﴿ كَيفَ يَهدِي الله قَوماً كَفَرُوا بَعدَ إِيمَانِهِم وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسولَ حَقٌ ، وَجَآءَهُمُ البَيِنَاتُ ، وَالله لاَ يَهدِي القَومَ الظَّالِمِينَ ﴾ . [آل عمران ٨٦]

وكقوله تعالى :

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ استَحَبُّوا الحَيٰوٰةَ الدُّنيَا عَلىَ الآخِرَةِ ، وَأَنَّ الله لاَ يَهدِي القَومَ الكَافِرِينَ ﴾ . [النحل ١٠٧]

٥ ـ وكل هداية نفاها الله عن النبي ﷺ وعن البشر وذلك أنهم غير قادرين عليها ـ فهي ما عدا المختص من الدعاء وتعريف الطريق ، وذلك كإعطاء العقل والتوفيق وإدخال الجنة كقوله عز ذكره :

﴿ لَيسَ عَلَيكَ هُدَاهُم وَلَكِنَّ الله يَهدِي مَن يَشَآءُ ﴾ . [البقرة ٢٧٢]

﴿ وَلَو شَآءَ الله لَجَمَعَهُم عَلَى الهُدَى ﴾ . [الأنعام ٣٥]

﴿ وَمَا أَنتَ بِهَادِ العُمىِ عن ضَلاَلَتِهِم ﴾ . [الروم ٥٣]

﴿ إِنْ تَحرِص عَلَىٰ هُدَاهُم فَإِنَّ الله لاَ يَهدِي مَن يُضِلُّ ﴾ . [النحل ٣٧]

﴿ وَمَن يُضلِلِ الله فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴾ . [غافر ٣٣]

﴿ وَمَن يَهدِ اللهَ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍ ﴾ . [الزمر ٣٧]

﴿ إِنَّكَ لَا تَهدِي مَن أَحبَبتَ ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ . [القصص ٥٦]

وإلى هذا المعنى أشار بقوله تعالى :

﴿ أَفَأَنتَ تُكرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤمِنِين ﴾ . [يونس ٩٩]

﴿ مَن يَهدِ اللهُ فَهُوَ المُهتَدِ ومن يُضلل فلن تجدَ له ولياً مُرشداً ﴾ . [الكهف ١٧]

أي طالب الهدى ومُتحريه هو الذي يوفقه الله ، ويهديه إلى طريق الجنة ، لا من أضله فيتحرى طريق الضلال والكفر كقوله تعالى :

﴿ وَالله لَا يَهدي القَومَ الكَافِرَين ﴾ . [البقرة ٢٦٤]

﴿ إِنَّ الله لَا يَهدِي منَ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ . [سورة الزمر ٣]

الكاذب الكفار : هو الذي لا يقبل هدايته ، فإن ذلك راجع إلى هذا وإن لم يكن لفظه موضوعاً لذلك ، ومن لم يقبل هدايته لم يهده ، كقولك : من لم يقبل هديتي لم أهد له ، ومن لم يقبل عطيتي لم أعطه ، ومن رغب عني لم أرغب فيه .

[انظر كتاب المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ٥٣٩]

المحافظة على أرواح المؤمنين

قال الله تعالى :

﴿ هُمُ الَّذينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُم عَن المَسجِدِ الحَرَامِ وَالهَديَ مَعكُوفاً أَن يَبلُغَ مَحِلَّهُ ، وَلَولاَ رِجَالٌ مُؤمِنُونَ ، ونِساءٌ مُؤمِنَاتٌ لَّم تَعلَمُوهُم أَن تَطَؤوهُم ، فَتُصيبَكُم مِنهُم مَعَرَّةٌ بِغَيرِ عِلمٍ ، لِيُدخِلَ اللهُ في رَحمَتِهِ مَن يَشَاءُ ، لَو تَزَيَّلُوا لَعَذَّبنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنهُم عَذَابَاً أَليماً ﴾ . [الفتح ٢٥]

يستفاد من الآية ما يلي :

١ ـ أن المشركين من أهل مكة منعوا المسلمين من دخول مكة لأداء العمرة ومعهم الهدي محبوساً لم يبلغ مكانه المخصص له ليذبح .

٢ ـ لا يجوز قتال الكفار المعتدين ، والمؤمنون مختلطون بينهم ، خشية أن تقع الخسارة بالمؤمنين والمؤمنات بغير قصد ، فيقع الإثم والعار على المؤمنين المقاتلين وهذا يبين مدى حرص الإسلام على حياة المؤمنين والمؤمنات ، ولو كانوا قلة ، فقد ذكر ابن كثير في تفسيره : أن عدد المؤمنين والمؤمنات الموجودين في مكة تسعة نفر سبعة رجال ، وامرأتان ، وهذا ما يفيده قوله تعالى :

﴿ ولولا رجال مؤمنون ، ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤوهم ، فتُصيبكم منهم مَعَرَّة بغير عِلم ﴾ .

٣ ـ تأخير عقوبة المشركين ، حتى يُدخل الله منهم من شاء في الإسلام ، وهذا ما حصل فعلاً ، فقد ذكر ابن كثير في تفسيره عن حبيب بن سباع قال :

(قاتلت رسول الله ﷺ أول النهار كافراً ، وقاتلت معه آخر النهار مؤمناً) .

وإلى هذا يشير قوله تعالى : ﴿ لِيُدخل الله في رحمته من يشاء ﴾ .

٤ ـ جواز قتال الكافرين إذا كان بينهم مؤمنون متميزون عنهم ، لا يختلطون فيها بينهم وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ لَو تَزَيَّلُوا لَعَذَّبنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنهُم عَذَابَاً أَلِيماً ﴾ .

٥ ـ أقول : ليت المسلمين عامة ، والمجاهدين منهم خاصة أخذوا بتطبيق هذه الآية ،

وراعَوا وجود إخوان لهم من المسلمين والمسلمات مختلطين بين الذين يريدون قتالهم ، ولو أنهم أخروا قتالهم ـ كما أخر المسلمون الأولون قتالهم عندما منعهم المشركون دخول مكة ـ لحقنوا دماء إخوانهم المؤمنين والمؤمنات ، ولم يقدموا رقابهم للمجرمين ، وأعراضهم للفتك بها .



القرآن يأمر بما جاء به الرسول ﷺ

قال الله تعالى :

﴿ وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ، وَمَا نَهَاكُم عنه فَانتهُوا ﴾ . [الحشر ٧]

قال ابن كثير : أي مهما أمركم به فافعلوه ، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه ، فإنه يأمر بخير ، وإنما ينهى عن شر .

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : «**لعن الله الواشمات والمستوشمات ، والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله عز وجل**» . قال فبلغ امرأة من بني أسد في البيت يقال لها أم يعقوب ، فجاءت إليه ، فقالت : بلغني أنك قلت كيت وكيت . قال ما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وفي كتاب الله تعالى ، فقالت : إني لأقرأ بين لوحيه فما وجدته ، فقال : «**إن كنت قرأتيه فقد وجدتيه . أما قرأت : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ ، قالت : بلى ، قال : فإنه قد نهى عنه ، قالت : فإني أرى أهلك يفعلونه ، قال : اذهبي فانظري ، فذهبتْ فلم ترَ من حاجتها شيئاً ، فجاءت فقالت : ما رأيت شيئاً . قال : لو كان كذا لم تجامعنا**» . [متفق عليه] [ج٤/٣٣٦]

وفي رواية «**ما جامَعَتنا**» . [كما في البخاري تفسير سورة الحشر]

(المراد : الاجتماع أي لم تجتمع بنا) . [فتح الباري ج٨/٦٣١]

وقال ﷺ : «**إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه**» . [متفق عليه]

أقول : هذه الآية تنطبق على كل ما أمر به الرسول ﷺ من صدق وأمانة ، ووفاء ووَعدٍ وإعفاء لحية ، وغير ذلك من الأوامر ، فقد كنت منذ سنين طويلة أُدرس في الحرم المكي ، وأنصح الحجاج أن يعفوا لحاهم ، ويقصوا شواربهم كما أمر به الرسول ﷺ ، فقام رجل من الحاضرين وطلبَ مني الدليل من القرآن الكريم على وجوبها ، فقلت له : اقرأ قوله تعالى : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ . [الحشر ٧]
وقد أمرنا الرسول ﷺ بإعفاء اللحية ، فقال : لي صدقت ، وبعد أيام أعفى لحيته .

الذّكر الكثير وأنواعه

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّها الَّذينَ ءَامنُوا اذكُرُوا الله ذِكراً كثيراً ﴾ [الاحزاب ٤١]

إن دوام الـذكر لما كان سبباً لدوام المحبة ، وكان الله سبحانه أحق بكمال الحب والعبودية والتعظيم والإجلال كان كثرة ذكره من أنفع ما للعبد ، فالذكر للقلب كالماء للزرع بل كالماء للسمك لا حياة له إلا به : وهو أنواع :

١ ـ ذكره بأسمائه وصفاته ، والثناء عليه بها .

٢ ـ تسبيحه وتحميده ، وتكبيره وتهليله ، وتمجيده ، وهو الغالب من استعمال لفظ الذكر عند المتأخرين .

٣ ـ ذكره بأحكامه وأوامره ونواهيه : وهو ذكر أهل العلم . بل الأنواع الثلاثة هي ذكرهم لربهم .

٤ ـ ذكره بكلامه ، وهو القرآن ، ويعتبر من أفضل الذكر :

قال تعالى :

﴿ وَمَن أعرَضَ عَن ذِكرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً ونَحشُرُهُ يَومَ القِيَامَةِ أعمَىٰ ﴾ .
[طه ١٢٤]

فذكره هنا هو كلامه الذي أنزله على رسوله ﷺ .

وقال تعالى :

﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكرِ الله ، أَلَا بذكر الله تَطمَئِنُّ القُلوبُ ﴾ .
[الرعد ٢٨]

٥ ـ ذكره بدعائه ، واستغفاره ، والتضرع إليه .

وذكر رسول الله ﷺ تبع لذكره فهذه خمسة أنواع من الذكر .

[انظر جلاء الافهام لابن القيم ص ٣٠٧]

أقول : وذكر الله يكون بما شرعه الله ، وعلمه رسوله لأمته ، لا بالابتداع كما يفعل الصوفية من الأذكار المختلفة المخترعة المبتدعة مثل قولهم ، هو ، هو ، هو ، ويعتبرونه من أسماء الله ، وهو غير صحيح ، وكذلك الصلاة على النبي ﷺ لا تكون إلا بما ورد في السنة كالصلوات الإبراهيمية وغيرها مما يوافق السنة .

ما هي فتنة داود عليه السلام ؟

قال الله تعالى :

﴿ وَهَل أَتَاكَ نَبَؤُا الخَصمِ إذ تَسَوَّرُوا المِحرَابَ . إذ دَخلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنهُم . قَالُوا لَا تَخَف خَصمَانِ بَغَىٰ بَعضُنَا عَلَىٰ بَعضٍ فَاحكُم بَينَنَا بِالحَقِ وَلَا تُشطِط ، وَاهدِنَا إلَىٰ سَوَاءِ الصِرَاطِ . إنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسعٌ وَتِسعُونَ نَعجَةً وَلِيَ نَعجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكفِلنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الخِطَابَ . قَالَ لَقَد ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعجَتِكَ إلَىٰ نِعَاجِه ، وَإنَّ كَثِيراً مِن الخُلَطَاءِ لَيَبغِي بَعضُهُم عَلَىٰ بَعضٍ ، إلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُم وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاستَغفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ . فَغَفَرنَا لَهُ ذَلِك وَإنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلفَىٰ وَحُسنَ مَآب . يَا دَاوُدُ ، إنَا جَعَلنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرضِ ، فَاحكُم بِين النَّاسِ بِالحَقِ ، وَلَا تَتَّبِعِ الهَوَىٰ فَيُضِلكَ عَن سَبِيلِ الله إنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ الله لَهُم عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَومَ الحِسَابِ ﴾ .

[سورة ص ٢١]

اختلف المفسرون في هذه الآيات إلى أقوال

١ ـ قال الطبري : هذا مثل ضربه الخصم المتَسَوِّرون على داود محرابه ، وذلك أن داود كانت له فيما قيل تسع وتسعون امرأة . وكان للرجل الذي أغزاه ـ حتى قتل ـ امرأة واحدة . فلما قتل نكح فيما ذكر داود امرأته . ثم لما قضى للخصمين بما قضى علم أنه ابتُلي ، فسأل غفران ذنبه ، وخر ساجداً لله وأناب إلى رضا ربه ، وتاب من خطيئته . [انظر تفسير الطبري ٢٣/١٤٣]

ثم أسند الطبري قصته مطولة ، ويشبه سياق بعضها ما ذكر في التوراة المتداولة الآن .

[انظر تفسير القاسمي ج١٤/١٥٦]

٢ ـ قال السيوطي في الإكليل : القصة التي يحكونها في شأن المرأة ، وأنها أعجبته (داود) وأنه أرسل زوجها مع البعث حتى قتل ، أخرجها ابن أبي حاتم من حديث أنس مرفوعاً ، وفي إسناده ابن لهيعة ، وحاله معروف ، عن أبي يزيد الرقاشي ، وهو ضعيف ، وأخرجها من حديث ابن عباس موقوفاً . انتهى .

أقول : والعجيب أن يقول هذا القول الطبري وغيره من المفسرين مع ضعف أدلته النقلية والعقلية .

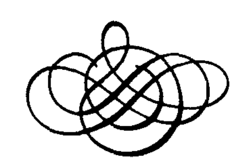
٣ ـ وقال ابن حزم في (الفصل) : ما حكاه تعالى عن داود عليه السلام قول صادق صحيح ، لا يدل على شيء مما قاله المستهزئون الكاذبون المتعلقون بخرافات ولَّدها اليهود . وإنما كان ذلك الخصم قوماً من بني آدم بلا شك مختصمين في نعاج من الغنم على الحقيقة بينهم . بغى أحدهما على الآخر (على نص الآية) .

ومن قال إنهم كانوا ملائكة مُعَرِّضين بأمر النساء ، فقد كذب على الله عز وجل ، وقوله ما لم يقل ، وزاد في القرآن ما ليس فيه . .

تالله إن كل امرىء منا ليصون نفسه وجاره المستور عن أن يتعشق امرأة جاره ، ثم يعرض زوجها للقتل عمداً ليتزوجها .

٤ ـ وقال البقاعي في تفسيره : وتلك القصة وأمثالها من كذب اليهود . وأخبرني بعض من أسلم منهم أنهم يتعمدون ذلك في حق داود عليه السلام ، لأن عيسى عليه السلام من ذريته ، ليجدوا سبيلاً إلى الطعن فيه ، انتهى .

ثم قال : وقوله تعالى : ﴿ **فغفرنا له ذلك** ﴾ أي الوقوع في الحديث عن إسناد الظلم إلى أحد بدون سماع لكلامه . وهذه الدعوى تدريب لداود عليه السلام في الأحكام . وذكرها للنبي ﷺ تدريب له في الأناة في جميع أموره على الدوام . ولما ذكر هذا ربما أوهم شيئاً في مقامه ﷺ فدفعه بقوله : ﴿ **وإن له عندنا لَزُلفى وحُسن مآب** ﴾ فالقصة لم يجر ذكرها إلا للترقية في رتب الكمال . وأول دليل على ما ذكرته ، أن هذه الفتنة إنما هي تدريب في الحكم ، لا بامرأة ولا غيرها ، وأن ما ذكره من قصة المرأة باطل وإن اشتهر ، فكم من باطل مشهور ومذكور ، وهو عين الزور . انتهى . [انظر تفسير القاسمي ج ١٤ ـ ١٥٩]



النبي سليمان يمسح الخيل حباً لها

قال الله تعالى :

﴿ وَوَهبنَا لِدَاوُدَ سُلَيمَان ، نِعمَ العَبدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ، إِذ عُرِضَ عَلَيهِ بِالعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الجِيَادُ ، فَقَال إِنِي أَحبَبتُ حُبَّ الخَيرِ عَن ذِكرِ رَبي حَتَّى تَوَارَت بِالحِجَاب ، رُدُّوها عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسحاً بِالسُّوقِ وَالأَعنَاقِ ﴾ . [سورة ص ٣٠ - ٣٣]

ذكر كثير من المفسرين أن سليمان عليه السلام شغلته الخيل عن صلاة العصر ، حتى غابت الشمس فأمر بقطع سوقها وذبحها تقرباً إلى الله ، وقد اختلفت عباراتهم ، وكلها تدور على هذا المعنى ، وهذا التفسير عليه ملاحظات :

١ - قوله : ﴿ عن ذكر ربي ﴾ أي : صلاة العصر ، لا دليل عليه ، لأن كلمة (عن) تأتي بمعنى (من) كما نقل الشوكاني في تفسيره عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ عن ذكر ربي ﴾ يقول : مِن ذكر ربي . [ج٤/٤٣٢]

فالخيل هي من ذكر الله ، لأن فيها الإعانة على الجهاد ، ولذلك أمر الله تعالى برباطها فقال عز من قائل :

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا استَطَعتُم من قُوَّةٍ ، وَمِن رِبَاطِ الخَيلِ تُرهِبونَ بِهِ عَدُوَّ الله وَعَدُوَّكُم وَءَاخَرِين من دُونِهِم . . ﴾ . [الأنفال ٦٠]

وقد حل مكانها الآن الدبابات ، والطائرات والمصفحات ، والصواريخ ، وغيرها من المخترعات .

فإعداد الخيل للجهاد من العبادات المطلوبة ، بل هو من أفضلها ، لذلك جاء مدحها في كثير من الأحاديث الصحيحة .

٢ - قول المفسرين ﴿ حتى توارت ﴾ أي الشمس : لا دليل عليه أيضاً لأن الشمس ليس لها ذكر من قريب أو بعيد ، والأقرب هو ذكر الخيل ، فيكون المعنى : حتى توارت الخيل واختفت عن نظر سليمان عليه السلام .

٣ ـ والأهم من ذلك قول المفسرين : ﴿ فطفِقَ مَسْحاً بالسوقِ والأعناق ﴾ قطع سوقها وأعناقها حيث فسروا المسح بالقطع : وهذا لا دليل عليه ، ولا سيما أن فيه تعذيباً للحيوان وإتلافاً للمال .
والأولى أن نحمل الآية على ظاهرها ، فقد نقل الطبري عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ فطفق مسحاً بالسوق والأعناق ﴾ :
يقول : جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها حباً لها . « رواه البخاري »
وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن عباس أشبه بتأويل الآية ، لأن نبي الله ﷺ لم يكن إن شاء الله ليعذب حيواناً بالعرقبة ، ويُهلك مالاً من ماله بغير سبب .
(العرقبة : قطع أرجل الخيل) . [انظر تفسير الطبري ج ٢٣/١٥٦]
٤ ـ أقول : هذا التفسير لابن عباس هو الصحيح ، ويمكن القول بأن سليمان عليه السلام كان يُجري استعراضاً عسكرياً للخيل لمحبته لها فلما مرت أمامه ، وغابت عن نظره أمر بإعادتها وردها ، فجعل يمسح التراب والعرَق عن سوقِها وأعناقها مِن أثر الغبار الذي لحقها ، كما يفعل الآن من عنده الخيل .
٥ ـ وقال ابن حزم : تأويل الآية على أنه قتل الخيل إذ اشتغل بها عن الصلاة ، خرافة موضوعة مكذوبة سخيفة باردة . قد جمعت أفانين من القول ، لأن فيها معاقبة خيل لا ذَنب لها ، والتمثيل بها ، وإتلاف مال منتفع به بلا معنى ؛ ونسبة تضييع الصلاة إلى نبي مرسل ، ثم يعاقب الخيل على ذنبه لا على ذنبها !!
وإنما معنى الآية أنه أخبر أنه أحب حُب الخير من أجل ذكر ربه حتى توارت الشمس ، أو تلك الصافنات بحجابها ، ثم أمر بردها فطفق مسحاً بسوقها وأعناقها بيده براً بها وإكراماً لها ، وهذا هو ظاهر الآية الذي لا يحتمل غيره ، وليس فيها إشارة أصلاً إلى ما ذكره من قتل الخيل وتعطيل الصلاة ، وكل هذا قد قاله ثقات المسلمين . فكيف ولا حجة في قول أحد دون رسول الله ﷺ .
٦ ـ وقال الفخر الرازي في الآية : إن رباط الخيل كان مندوباً إليه في دينهم ، كما أنه كذلك في دين الإسلام . ثم إن سليمان عليه السلام احتاج إلى الغزو ، فجلس وأمر بإحضار الخيل وأمر بإجرائها ، وذكر أني لا أحبها لأجل الدنيا ونصيب النفس ، وإنما أحبها لأمر الله وطلب تقوية دينه . وهو المراد من قوله :

﴿ عن ذكر ربي ﴾ ثم أنه عليه السلام أمر بإعادتها وتسييرها حتى توارت بالحجاب أي غابت عن بصره ، ثم أمر الرائضين بأن يردوا تلك الخيل ، فلما عادت إليه طفق يمسح سوقها وأعناقها .

والغرض من ذلك المسح أمور:

١ ـ تشريفاً لها وإبانة لعزتها ، لكونها من أعظم الأعوان في دفع العدو .

٢ ـ أنه أراد أن يظهر أنه في ضبط السياسة والملك وأنه يباشر أكثر الأمور بنفسه .

٣ ـ أنـه كان أعلم بأحوال الخيل وأمراضها وعيوبها ، فكان يمتحنها ويمسح سوقها وأعناقها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض .



التفسير الصحيح لفتنة سليمان عليه السلام

قال الله تعالى :

﴿ وَلَقَد فَتَنَّا سُلَيمَانَ وَأَلقَينا عَلَىٰ كُرسِيهِ جَسَداً ، ثُمَّ أَنَابَ ﴾ . [سورة ص ٣٤]

هذه الآية الكريمة يفسرها قوله ﷺ : «**قال سليمان عليه السلام : لأطوفن الليلة بمائة امرأة تلِد كلُ امرأة منهن غلاماً يقاتل في سبيل الله ، فقال له الملَك : قل إن شاء الله ، فلم يقل ونسي ، فطاف بهن ، ولم تلد منهن إلا امرأة نصف إنسان**» .

وفي رواية : «**فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشِق رَجل**» .

قال النبي ﷺ : لو قال : «**إن شاء الله لم يحنث ، وكان أرجى لحاجته**» ، وفي رواية : «**ولو كان استثنى لولدت كل واحدة منهن غلاماً فارساً يقاتل في سبيل الله**» . [متفق عليه]

[معنى : بشِق رَجل : أي نصفه] .

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان :

فإذا علمت هذا فاعلم أن هذا الحديث الصحيح بيَّن معنى قوله تعالى :

﴿ **ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً** ﴾ .

وأن فتنة سليمان كانت بسبب تركه قوله (إن شاء الله) وأنه لم يلد من تلك النساء إلا واحدة نصف إنسان وأن ذلك الجسد الذي هو نصف إنسان هوالذي ألقي على كرسيه بعد موته في قوله تعالى :

﴿ **وألقينا على كرسيه جسداً** ﴾ الآية .

فما يذكره المفسرون في تفسير قوله تعالى : ﴿ **ولقد فتنّا سليمان** ﴾ الآية .

من قصة الشيطان الذي أخذ الخاتم وجلس على كرسي سليمان ، وطرد سليمان من ملكه ، حتى وجد الخاتم في بطن السمكة التي أعطاها له مَن كان يعمل عنده بأجر مطروداً عن ملكه، إلى آخر القصة !! لا يخفى أنه باطل لا أصل له، وأنه لا يليق بمقام النبوة ، فهو من الإسرائيليات التي لا يخفى أنها باطلة ، والظاهر في معنى الآية هو ما ذكرنا ، وقد دلت السنة الصحيحة عليه في الجملة ، واختاره بعض المحققين والعلم عند الله تعالى . [ج ٤/٧٧]

السحر من عمل الشياطين

قال الله تعالى :

﴿ ولما جاءهم رسولٌ من عند الله مُصدِّقٌ لِما معهم نبذَ فريقٌ من الذين أُوتوا الكتابَ كتابَ الله وراءَ ظهورِهم كأنهم لا يعلمون *
واتَّبَعوا ما تتلوا الشياطين على مُلك سليمان ، وما كفر سليمانُ ولكنَّ الشياطين كفروا يُعلِّمون الناسَ السحرَ ؛ وما أُنزل على الملَكين ببَابلَ هاروتَ وماروتَ ؛ وما يُعلِّمان من أحدٍ حتى يقولا إنما نحن فتنةٌ فلا تكفرْ فيَتعلَّمون منهما ما يُفرِّقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارِّين به من أحدٍ إلا بإذن الله ويتعلّمون ما يَضرُّهم ولا ينفعهم ، ولقد علِموا لَمَن اشتراه ما له في الآخرة مِن خَلاق ، ولَبئس ما شرَوْا به أنفسَهم لو كانوا يعلمون * ولو أنهم آمنوا واتقَوا لَمثوبَةٌ من عند الله خيرٌ لو كانوا يعلمون ﴾ . [البقرة ١٠١-١٠٣]

لما جاء محمد ﷺ مصدقاً للتوراة التي مع اليهود كذبوه ، ونبذوا القرآن والتوراة وراء ظهورهم ولم يعملوا بهما ، واتبع اليهود ما تفتري الشياطين وتختلق من السحر على ملك سليمان ، حيث أخرجت الشياطين السحر ، وزعموا أن سليمان عليه السلام كان يستعمله وبه حصل له الملك العظيم ، فكذبهم الله تعالى وبرأ النبي سليمان من السحر الذي فيه الكفر والضرر ، وأسند السحر والكفر إلى الشياطين الذين علموه لليهود ، وأن هذا السحر لم ينزله الله على الملَكين هاروت وماروت . [انظر تفسير ابن كثير وغيره]

١ـ **قال الألوسي في تفسير قوله تعالى : ﴿ وما أُنزل على الملَكين ﴾ عطف على السحر ، وفائدة العطف التنصيص بأنهم يعلمون ما هو جامع ما بين كونه سحراً وبين كونه مُنزَّلاً للابتلاء ، فيفيد ذمهم بارتكابهم النهي بوجهين ، فكأنه قيل اتبعَوا السحر المدوَّن في الكتب وغيره ، وهذان الملَكان أُنزلا لتعليم السحر ابتلاءً من الله تعالى للنَّاس ؛ فمن تعلَّم وعمل به كفر ومن تعلَّم وتوقّى عملَه ثبت على الإيمان ؛ ولله تعالى أن يمتحن عباده بما شاء كما امتحن قومَ طالوت بالنهر , وتمييزاً بين السحر وبين المُعجزة , حيث إنَّه كثُر في ذلك الزمان وأظهر السحرةُ أموراً غريبة وقع الشك بها في النبوة ، فبعث الله تعالى الملَكين لتعليم أبواب السحر**

حتى يزيلا الشُبه ، ويميطا الأذى عن الطريق . (ج١/٣٠٦) روح المعاني للألوسي .

٢ - قال الطبري : « . . معنى «ما» التي في قوله ﴿ وما أُنزل على الملَكين ﴾ بمعنى «الـذي» وأن هاروت ومـاروت ، مُترجَم ، بهما عن الملكـين ، فإن التبس ما قلنا ، فقال : وكيف يجوز لملائكة الله أن تُعلّم الناس التفريق بين المرء وزوجه ؟ أم كيف يجوز أن يضاف إلى الله إنزال ذلك على الملائكة ؟ قيل له : إن الله عرَّف عباده جميع ما أمرهم به وجميع ما نهاهم عنه ، فالسحر مما قد نهى عباده من بني آدم عنه ، فغير منكر أن يكون جل ثناؤه علَّمهُ الملَكين اللذين سماهما وجعلهما فتنة لعباده من بني آدم ليختبر بهما عباده الـذين نهاهم عن التفـريق بين المرء وزوجه ، وعن السحر ، فيُمحِّصَ المؤمن بتركه التعلم منهما ويُخزِي الكافر بتعلمه السحر والكفر منهما» .

[الطبري باختصار جـ٢/٤٢٦ تحقيق محمود شاكر]

٣ـ وقال أبو شهبة في كتابه: الإسرائيليات والموضوعات: فالمراد بما أُنزل هو علم السحر الذي نزلا ليعلماه الناس، حتى يُحذِّروا منه، فالسبب في نزلهما: هوتعليم الناس أبواباً من السِّحر، حتى يعلم الناس الفرق بين السِّحر والنبوة.

ما يستفاد من الآية

١ ـ الإعراض عن الكتاب والسنة يوقع الشر والفساد والظلم والسحر .

٢ ـ كفر الساحر ، وتحريم تعلم السحر ، وتحريم استعماله .

٣ ـ السحر له ضرر ، ويُدفع بقراءة المعوذتين ودعاء الله وحده .

٤ ـ يحرم تصديق الكاهن والعراف والساحر لقوله ﷺ :

أ ـ **«من أتى كاهناً أو عرافاً فصدَّقه فقد كفر بما أنزل على محمد»** . [صحيح رواه أحمد]

ب ـ **«مَن أتىٰ عَرَّافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوماً»** . [رواه مسلم]

[العراف والكاهن : اللذان يدعيان علم الغيب كذباً] .

٥ ـ باب التوبة مفتوح للساحر وغيره ولو كان كافراً .

٦ ـ ابتلاء الله لعباده بالشر والخير ليعلم العاصي من المطيع قال تعالى :

﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون ﴾ . [الأنبياء ٣٥]

حكم تعدد الزوجات في الاسلام

قال الله تعالى :

﴿ وَإِنْ خِفتُم أَلَّا تُقسِطُوا فِي اليَتَامَىٰ ، فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِن النِّسَآءِ مَثنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاع فَإِن خِفتُم أَلَّا تَعدِلُوا فَوَاحِدَةً أَو مَا مَلَكَت أَيمَانُكُم ، ذٰلِك أَدنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾ . [النساء ٣]

يفهم بعض النـاس من هذه الآية أنها تبيح تعدد الزوجات للرجل في الحالات الضيقة ومشروط بمرض أو عقم ولو رجع هؤلاء إلى تفسير العلماء لهذه الآية لزال عنهم هذا الفهم الخاطىء .

١ ـ قال ابن الجوزي في تفسيره : اختلفوا في تنزيلها وتأويلها .

أ ـ أن القوم كانوا يتزوجون عدداً كثيراً من النساء في الجاهلية ولا يتحرجون من ترك العدل بينهن وكانوا يتحرجون في شأن اليتامى ، فقيل لهم في هذه الآية : احذروا من ترك العدل بين النساء كما تحذرون من تركه في اليتامى .

وهـذا المعنى مروي عن ابن عبـاس ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، وقتادة ، والسدي ، ومقاتل .

ب ـ أن معناها وإن خفتم يا أولياء اليتامى أن لا تعدلوا في صدقات اليتامى (أي المهور) إذا نكحتمـوهن ، فانكحـوا سِواهن من الغرائب اللواتي أحل الله لكم ، وهذا المعنى مروي عن عائشة رضي الله عنها :

روى البخاري ومسلم عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة عن قول الله تعالى : ﴿ وإن خفتم ألا تُقسطوا في اليتامى ﴾ .

فقالت : يا ابن أختي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها تشركه في ماله ، ويعجبه مالها وجمالها ، فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها ، فيعطيها مثل ما يعـطيهـا غيره ، فنُهـوا عن ذلـك إلا أن يُقسطوا لهن ، ويبلغوا أعلى سنتهن في

الصداق ، فأُمِروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن .

[انظر زاد المسير ج٢/ ٦]

٢ ـ قال القرطبي : واتفق كل من يعاني علوم القرآن على أن قوله تعالى : ﴿ **وإن خفتم ألا تُقسطوا** ﴾ الآية . ليس له مفهوم ، (يخالفه) إذ قد أجمع المسلمون على أنه من لم يخف القسط في اليتامى له أن ينكح أكثر من واحدة : اثنتين ، أو ثلاثاً ، أو أربعاً ، كمَن خاف . [ج٥/١٣]

فدل على أن الآية نزلت جواباً لمن خاف ذلك ، وأن حكمها أعم من ذلك .

٣ ـ أما معنى قوله تعالى : ﴿ **فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة** ﴾ الآية .

فقال الشوكاني في تفسيرها :

والمعنى : فإن خفتم ألا تعدلوا بين الزوجات في القَسْم ونحوه ، فانكحوا واحدة ، وفيه المنع من الزيادة على الواحدة لمن خاف ذلك .

﴿ **أو ما ملكت أيمانكم** ﴾ يجوز للرجل نكاح ما ملكت يمينه بدون تحديد .

﴿ **ذلك أدنى ألا تعولوا** ﴾ والمعنى : وإن خفتم عدم العدل بين الزوجات فهذه التي أُمرتم بها أقرب إلى عدم الجور . (أي الظلم) . [انظر فتح القدير ج١/٤٢١]

ومفهوم العدل في القرآن هو العدل في النفقة والمبيت ، بحيث ينفق على كل واحدة مثل ما ينفق على الأُخرى ، وأن يعدل في المبيت بحيث يبيت عند كل واحدة ليلة أو أكثر حسب الاتفاق . أما الحب القلبي ، والجماع فلا يمكله الإنسان ، لذلك قال الله تعالى :

﴿ **وَلَن تَستَطيعُوا أَن تَعدِلُوا بَينَ النِسَاءِ وَلَو حَرِصْتُم ، فَلَا تَميلُوا كُلَّ المَيلِ فَتَذَرُوهَا كَالمُعَلَّقَةِ ، وَإِن تُصلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ الله كَانَ غَفُوراً رحِيماً** ﴾ .

[النساء ١٢٩]

قال الإمام الشوكاني في تفسير هذه الآية : أخبر سبحانه بنفي استطاعة الرجال للعدل بين النساء ، على الوجه الذي لا ميل فيه البتة لما جبلت عليه الطباع البشرية من ميل النفس إلى هذه دون هذه ، وزيادة هذه في المحبة ، ونقصان هذه ، وذلك بحكم الخِلقة ، بحيث لا يملكون قلوبهم ، ولا يستطيعون توقيف أنفسهم على التسوية ، ولهذا قالت عائشة : كان النبي ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل ، ثم يقول : «**اللهم هذا قَسْمي فيما أملك ، فلا تلُمني فيما تملك ولا أملك**» .

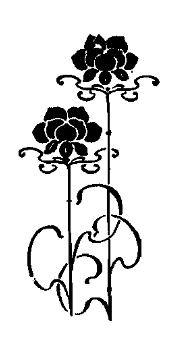
(يعني القلب) وإسناده صحيح [أقول : لكن ضعفه الألباني في الإرواء] .

ولما كانوا لا يستطيعون ذلك ولو حرصوا عليه وبالغوا فيه نهاهم الله عز وجل أن يميلوا كل الميل ، لأن ترك ذلك وتجنب الجَور كل الجَور في وُسعهم وداخل تحت طاقتهم ، فلا يجوز لهم أن يميلوا عن إحداهن إلى الأخرى كل الميل ، حتى يذروا الأخرى كالمعلقة التي ليست ذات زوج ولا مطلقة تشبيهاً بالشيء الذي هو معلق غير مستقر على شيء ، ﴿ **وإن تُصلحوا** ﴾ أي ما أفسدتم من الأمور التي تركتم ما يجب عليكم فيها عِشرة النساء والعدل بينهن ﴿ **وتتقوا** ﴾ كل الميل الذي نُهيتم عنه ﴿ **فإن الله كان غفوراً رحيماً** ﴾ لا يؤاخذكم بما فرط منكم . [انظر فتح القدير ج١/٥٢١]

٤ ـ وقال الحافظ ابن كثير في تفسير الآية : «أي لن تستطيعوا أيها الناس أن تساووا بين النساء من جميع الوجوه ، فإنه وإن وقع القَسْم الصوري ليلة وليلة ، فلابد من التفاوت في المحبة والشهوة والجماع» .

٥ ـ تقول الزعيمة العالمية (أني بيزانت) : (متى وزنا الأمور بقسطاس العدل المستقيم ظهر لنا تعدد الزوجات الإسلامي الذي يحفظ ويغذي ويكسو النساء أرجح وزناً من البغاء الغربي الذي يسمح بأن يتخذ الرجل امرأة لمحضِ إشباع شهواته ، ثم يقذف بها إلى الشارع متى قضى منها أوطاره) .

أقول : هذه شهادة امرأة كافرة ، والفضل ما شهدت به الأعداء .



الخلاصـــة

١ ـ إن الإسـلام الحكيم الـذي أباح تعدد الزوجات ، فهو في مصلحة النساء قبل الرجال ، حتى يكفل للبنات والأرامل العيش العزيز في بيوت أزواجهن بدلاً من أن يكن عالة في بيوت من يعولهن .

٢ ـ إن الـدعـوة إلى عدم تعدد الزوجات تسبب قلة النسل الذي يسعى إليه أعداء الإسـلام لتقليل عددهم وإذلالهم ، كما أنـه يسبب كثـرة العـوانس من البنات والأرامل في البيوت مما يُعرضهن للفتنة والفساد لأن النساء أكثر عدداً من الرجال حسب الإحصاء ولا سيما حينما يتعرض الرجال للقتل في الحروب والمعارك ، وقد قامت مظاهرة نسائية في ألمانيا بعد الحرب العالمية يطالبن بتعدد الزوجات !

٣ ـ إن تعدد الزوجات يوافق هذا الزمن لأن الأمم يُنظر إليها بعدد نفوسها ، وكلما ازداد عددهم قويت شوكتهم ، وبـما أن الحروب في أفغانستان وإيران ، وفلسطين ، ولبنان ، والعراق وغيرها من البلاد الإسلامية سببت قلة الرجال ، وكثرة النساء الأرامل اللواتي فقدن أزواجهن ، فإن الإسلام يريد من المسلمين ألا يتركوا هؤلاء الأرامل للجوع والفتنة والفساد .



خطر اختلاط الرجال بالنساء

قال الله تعالى :

﴿ وَلَقَد هَمَّت بِهِ . وَهَمَّ بِهَا لَوَلآ أَن رأى بُرهَان رَبِّهِ ، كَذَٰلكَ لِنَصرِفَ عَنهُ السُّوءَ وَالفحشآءَ ، إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا المُخلَصِينَ ﴾ . [يوسف ٢٤]

اختلف المفسرون في هَمِّ يوسف بها على أقوال :

الأول : أنه كان من جنس همها ، فلولا أن الله تعالى عصمه لفعل .

الثاني : أنها همَّت به أن يفترشها ، وهمَّ بها ، أي : تمناها أن تكون له زوجة .

الثالث : أن في الكلام تقديماً وتأخيراً : ولقد همَّت به ، ولولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها فلما رأى البرهان لم يقع منه الهم ، فقدم جواب (لولا) عليها ، كما يقال : قد كنت من الهالكين ، لولا أن فلاناً خلَّصك .

الرابع : أنه هَمَّ أن يضربها ويدفعها عن نفسه ، فكان البرهان الذي رآه من ربه أن الله أوقع في نفسه أنه إن ضربها كان ضربه إياها حجة عليه ، لأنها تقول : راودني فمنعته فضربني . (ذكره ابن الأنباري) . [انظر زاد المسير لابن الجوزي ج٤/٢٠٣]

أقول : اختار هذا القول الأخير الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير المنار ، واختاره أبو بكر الجزائري حين قال :

(**ولقد همَّت به . وهمَّ بها لولا أن رأى برهان ربه**) أي همَّت بضربه لامتناعه عن إجابتها لطلبها بعد مراودات طالت مدتها ، وهمَّ هو بضربها دفعاً لها عن نفسه ، إلا أنه أراه الله برهاناً في نفسه ، فلم يضربها(١) ، وآثر الفرار إلى خارج البيت ، ولحقته تجري وراءه لترده . [انظر أيسر التفاسير ج٢/٣٩١]

أقول ١ ـ: هذا القول هو الذي دل عليه السياق وهو الآية التي قبلها ، قوله :

﴿ وَرَاوَدَتهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيتِهَا عَن نَّفسِهِ ، وَغَلَّقَتِ الأَبوَاب ، وَقَالَت هَيتَ لَكَ ﴾ . [يوسف ٢٣]

---

(١) أقول : لذلك وجب الوقف على قوله ﴿ **ولقد همت به** ﴾ ثم يبتدىء بقوله : ﴿ **وهَمَّ بها لولا أن رأى برهان ربه** ﴾ ليفهم القارىء أن الهم لم يقع من يوسف .

فالمـراودة : وهي طلب المرأة من يوسف أن يواقعها بعد تغليق الأبواب قد حصلت ، وقد قالت له : أقبل إليَّ فإني أحب مضاجعتك ! فكان جواب يوسف :

﴿ مَعَاذَ الله ، إِنَّهُ رَبِّيَ أَحسَنَ مَثوَايَ إِنَّهُ لَا يُفلح الظَّالِمُونَ ﴾ . [يوسف ٢٣]

فكان هذا الرد الحاسم من يوسف صفعاً لها ، ومخيباً لآمالها ، ومخالفاً لأمرها ، ولا سيما وأنها السيدة امرأة العزيز ، ويوسف فتى عندها وخادم لها ، فلذلك همَّت به أن تضربه تأديباً له ، لعله يستجيب بهذا الضرب إلى طلبها ، بعد أن امتنع عن طلبها بالقول اللين ، والعبارات المغرية .

٢ ـ أما اللحاق : وهي الآية التي بعدها ، وهي قوله تعالى :

﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصرِفَ عَنهُ السُّوءَ وَالفحشَاءَ ﴾ . [يوسف ٢٤]

فالله قد صرف عنه السوء وهو الضرب الذي لو فعله للحق به ما يُسيء إليه ، وهو إلصاق التهمة به ، وقد صرف الله عنه الفحشاء : وهو الزنى بامرأة العزيز ، وعلل ذلك قوله : ﴿ إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا المُخلَصِينَ ﴾ . [يوسف ٢٤]

فيوسف عليه السلام من عباد الله الذين استخلصهم ، واصطفاهم لرسالته ، وعصمهم من السوء والفحشاء ، فلا يمكن أن يقع يوسف في السوء والفحشاء ، لأن الله صرف عنه ذلك ، فلذلك جاء التعبير بقوله : ﴿ لنصرف عنه السوء والفحشاء ﴾ ولم يقل لنصرفه عن السوء والفحشاء ، وهذا يرد على القائلين بأن يوسف وقع منه همٌّ بامرأة العزيز .

٣ ـ ودليل آخر على تفسير الهمِّ بالضرب : هو همُّ يوسف بالهرب منها تخلصاً منها حينما حاولت ضربه ، وقد لحقته لتمسك به وتأخذه بقوة ، وأمسكت بقميصه من الخلف فشقته ، وذلك قوله تعالى :

﴿ وَاستَبَقَا البَابَ ، وَقَدَّت قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ . . . ﴾ . [يوسف ٢٥]



ما يستفاد من هذه القصة

١ ـ التحذير من اختلاط الخدم والسواقين وغيرهم من الرجال بالنساء ، وعدم الدخول عليهن ، والخلوة معهن ، لئلا يقع من النساء ما وقع لامرأة العزيز ، ولا سيما عند غياب صاحب البيت ، ومنع النساء من الاختلاط بالأجانب وخاصة العمال في البيوت والسواقين . . الخ .

٢ ـ السواقون والخدم والمدرسون لا يقاسون بيوسف الذي عصمه الله ، فقد يقعون بالفاحشة إلا من رحم ربك .

٣ ـ تحذير النساء مما وقعت فيه امرأة العزيز من الخيانة الزوجية ، وقد وصل خبرها إلى النساء ، ورأوها في ضلال مبين .

٤ ـ الاقتداء بيوسف عليه السلام ، والابتعاد عن الزنا ومقدماته ، ولا سيما للمسلم الذي يحرم عليه دينه ذلك .



عيسى عليه السلام حَي في السماء

قال الله تعالى بشأن عيسى عليه السلام :

﴿ إذ قَالَ اللهُ يَا عَيسَىٰ إني مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ .

[آل عمران ٥٥]

قد يتوهم بعض الناس من ظاهر هذه الآية الكريمة وفاة عيسى وموته ، ولو رجعوا إلى أقوال المفسرين المعتمدين لهذه الآية لزال عنهم الوهم .

وقد اختلف المفسرون فيها على أقوال :

١ ـ إن التوهم جاء من كلمة (مُتَوفيك) على أن التوفي بمعنى الإماتة ، وأنه قد حصل قبل الرفع ، والجواب على هذا ما يلي :

أن قوله تعالى : ﴿ متوفيك ﴾ لا يدل على تعيين الوقت ، ولا يدل على أن التوفي قد مضى ، والله تعالى متوفيه يوماً ما ، ولكن لا دليل على أن ذلك اليوم قد مضى .

وأما عطفه ﴿ ورافعك ﴾ على قوله : ﴿ متوفيك ﴾ فلا دليل فيه ، لأن الجمهور من علماء اللغة يرون أن الواو لا تفيد الترتيب ولا الجمع ، وإنما تفيد مطلق التشريك ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنا الدُنيا نَمُوت وَنَحيا ﴾ .

[الجاثية ٢٤]

فدلت الآية على أن الواو لا تفيد الترتيب ، لأن المعطوف وهو الحياة سابق في الوجود على المعطوف عليه ، وهو الموت .

وعليه فيكون معنى الآية : (إني رافعك إليَّ ومُتوفيك) وقد ثبت بالأدلة على أن عيسى حي في السماء ، وأنه سينزل ويقتل الدجال ويكسر الصليب ، وغير ذلك كما سيأتي ، ثم يتوفاه الله بعد ذلك . [انظر أضواء البيان ، وزاد المسير وغيرهما]

٢ ـ التفسير الثاني : أنها وفاة نوم للرفع إلى السماء فيكون معنى الآية :

(إني مُنيمك ، ورافعك إلي) .

وقد جاء في القرآن إطلاق الوفاة على النوم في قوله تعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيلِ ، وَيَعلَمُ مَا جَرَحتُم بِالنَّهَارِ ﴾ . [الانعام ٦٠]

﴿ اللهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوتِها ، وَالَّتِي لَم تَمُت فِي مَنَامِها ﴾ . [الزمر ٤٢]

وكان ﷺ إذا قام من النوم يقول :

«الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور» . [رواه البخاري]

فقد ثبت في الكتاب والسنة صحة إطلاق الوفاة على النوم ، ويكون رفع عيسى عليه السلام وهو نائم رفقاً به كما قال الحسن البصري .

٣ ـ التفسير الثالث : أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال : هذا من المقدم والمؤخر : أي رافعك ومتوفيك بعد ذلك في الأرض بعد أن تعود إليها قبل يوم القيامة ، لتكون علماً من أعلام الساعة .

وهذا قول الفراء والزجاج ، وتكون الفائدة في إعلامه بالتوفي تعريفه أن رفعه إلى السماء لا يمنع من موته .

٤ ـ الوجه الرابع : أن ﴿ **متوفيك** ﴾ اسم فاعل من توفاه إذا قبضه وحازه إليه ، ومنه قولهم : (توفى فلان دينه) إذا قبضه . قال ابن قتيبة في غريب القرآن :

﴿ **متوفيك** ﴾ : قابضك من الأرض من غير موت(١)

قال الإمام ابن جرير الطبري : ومعلوم أنه لو كان أماته الله عز وجل لم يكن بالذي يميته ميتة أخرى ، فيجمع عليه ميتتين . .

فتأويل الآية : يا عيسى إني قابضك من الأرض ، ورافعك إليَّ ومُطهرك من الذين كفروا فجحدوا نبوتك . [انظر تفسير الطبري تحقيق محمود شاكر ٦/ ٤٦٠]

أقول : كل التفاسير التي مرت يصح تفسير الآية بها ، إلا أن الراجح هو التفسير الرابع : وهو أن المراد من قوله تعالى : ﴿ **إني متوفيك ورافعك إلي** ﴾ أي متوفي شخصك حياً من الأرض من غير موت ولا نوم ، وأن قوله : ﴿ **رافعك إلي** ﴾ هو تعيين لنوع التوفي ، وهو اختيار الطبري وابن قتيبة كما تقدم ، وهو الرواية الصحيحة عن ابن عباس كما قال الألوسي في روح المعاني .

وعلى هذا فلا يمكن تفسير قوله تعالى : ﴿ **متوفيك** ﴾ مميتك ، ومن قوله تعالى ﴿ **رافعك** ﴾ رافع روحك كما زعم البعض وذلك لما تقدم من أوجه التفسير في معنى التوفي . والله أعلم .

---

(١) انظر موهم الاختلاف بين آيات القرآن للأخ ياسر أحمد الشمالي

الآيات الدالة على عدم قتل عيسى

١ ـ قال الله تعالى :

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُم ، وَإِنَّ الَّذِينَ اختَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنهُ ، مَا لَهُم بِهِ مِن عِلمٍ إِلَّا اتِبَاعَ الظَّنِ ، وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً ، بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيهِ ، وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾ . [النساء ١٥٧]

فقوله تعالى : ﴿ وما قتلوه يقيناً ، بل رفعه الله إليه ﴾ رَدٌّ وإنكار لقتله ، وإثبات لرفعه عليه السلام .

وهذا النص قطعي الدلالة في رفع المسيح عليه السلام حَياً إلى السماء ، ولا يحتمل التأويل ، لأن كلمة (بل) بعد النفي يجب أن يكون ما بعدها إثباتاً للنفي المتقدم .

ولو حمل الرفع على رفع الروح فقط ، فهذا لا يضاد القتل والصلب المنفيين قبل ، لاجتماع القتل مع رفع الروح ، كما أنه يلغي النفي السابق .

ولهذا فإن الآية صريحة في رفع عيسى عليه السلام حياً إلى السماء بروحه وجسده .

٢ ـ قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِن أهلِ الكِتَابِ إِلَّا لَيُؤمِنَنَّ بِهِ قَبلَ مَوتِهِ ، وَيَومَ القيامة يكون عليهم شهيداً ﴾ . [النساء ١٥٩]

فقوله : (قبل موته) أي موت عيسى عليه السلام في آخر الزمان ، كما هو مروي عن ابن عباس وعبدالرحمن بن زيد وأبي هريرة ، والحسن وقتادة ، واختاره ابن جرير الطبري ، وقال ابن كثير :

وهذا القول هو الحق ، وأفاد بأنه المقصود من سياق الآي في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى عليه السلام وصلبه ، وتسليم من سلَّم لهم ذلك من النصارى الجهلة .

فالمراد تقرير وجود عيسى عليه السلام ، وبقاء حياته في السماء ، وأنه سينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة . [ج١/٥٧٧]

٣ ـ قوله تعالى : ﴿ وَإِنهُ لَعِلمٌ لِلسَّاعةِ ﴾ . [الزخرف ٦١]

عن ابن عباس مرفوعاً في قوله تعالى : ﴿ وإنه لعِلم للساعة ﴾ .
قال : نزول عيسى ابن مريم قبل يوم القيامة .

[أخرجه الإمام أحمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي]

قال ابن كثير : ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى :
﴿ وإنه لَعلَمٌ للساعة ﴾ أي أمارة ودليل على وقوع الساعة .
وقال مجاهد : وإنه لعَلَم للساعة أي آية للساعة خروج عيسى بن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة .
أقول : فهذه الآيات تدل على بقاء عيسى عليه السلام حياً ، وإنه علَم من أعلام الساعة ، وأن أهل الكتاب سوف يؤمنون به ، على أنه عبدالله ورسوله ، ويدخلون في شرع الإسلام .

الأحاديث التي تثبت نزول عيسى

١ ـ قال ﷺ : «والذي نفسي بيده لَيوشِكَن أن ينزل فيكم ابن مريم حَكماً عدلاً ، فيكسِر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال ، حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها ، ثم يقول أبو هريرة : واقرأوا إن شئتم قوله تعالى : ﴿ وإنْ مِن أهل الكتاب إلا لَيؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً ﴾» . [رواه البخاري]

فهذا الحديث يدل على أن عيسى عليه السلام حي في السماء ، وأنه ينزل آخر الزمان ، ويحكم بشريعة الإسلام عند نزوله(1) لا بالإنجيل ، ولا بالمذهب الحنفي
قال ﷺ : «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم» .

[رواه البخاري / كتاب الأنبياء / باب نزول عيسى ١٤٢/٤]

قتال المسلمين اليهود

قال الله تعالى :

﴿ وقَضَينا إلى بَنِي إسرَائِيلَ فِي الكتَاب لَتُفْسِدُنَّ في الأرْضِ مَرَّتين، وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً * فإذا جاءَ وَعْدُ أُولاَهُمَا بَعثنا عليكُمْ عِباداً لَنا أُوْلِي بأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَفْعُولاً * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الكرَّةَ عَلَيْهِمْ وأَمْدَدْناكُم بأَمْوالٍ وبنِينَ وجعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً * إنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأنفُسِكُمْ وإن أَسَأتُم فَلَهَا فإذا جاءَ وَعْدُ الآخِرةِ لِيَسُوؤا وُجُوهَكُم ولِيَدْخُلُوا المَسجدَ كمَا دَخلُوُه أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْاْ تَتْبِيراً * عَسىٰ رَبُّكم أَنْ يَرْحمَكُمْ وَإنْ عدتُّم عدْنا وَجعَلنا جَهَنَّم لِلكَافِرينَ حَصِيراً ﴾ «الإسراء: ٤-٨»

قوله تعالى: ﴿وإنْ عُدتُّم عُدْنَا﴾ لمَّا بيَّنَ جلَّ وعلا أنَّ بني إسرائيل قضىٰإليهم في الكتاب أنهم يفسدون في الأرض مرَّتين، وأنه إذا جاء وعْد الأُولىمنهما: بعثَ عليهم عباداً له أُولي بأس شديد فاحتلوا بلادهم وعَذبوهم، وأنه إذا جاء وعد الآخرة: بعث عليهم قوماً لِيَسوؤا وجوههم وليدخلوا المسجدكما دخلوه أوَّل مرَّة، وليُتَبِّروا ما عَلَواً تتبيراً. وبيَّنَ أيضاً: أنهم إن عادوا للإفساد المرة الثالثة فإنه جل وعلا يعود للانتقام منهم بتسليط أعدائهم عليهم ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَإنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾ «.انظركتاب أضواء البيان للشنقيطي جـ٣ / ٣٧٠»

وقال رسول الله ﷺ : (**لا تَقومُ السَّاعة حتى يقاتل المسلمون اليهودَ، فيقتلهم المسلمون حتى يختبىء اليهودي مِن وَراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر أو الشجر : يا مسلم يا عبد الله : هذا يهودي خلفي ، فتعالَ فاقتُله إلا شجر الغَرْقَد ، فإنه من شجر اليهود**) « رواه مسلم »

من فوائد الآيات والحديث :

١- بيان سوء عاقبة الظلم والإفساد في الأرض في الدنيا والآخرة .

٢- إخباره ﷺ عن قتال المسلمين لليهود، وانتصار المسلمين عليهم، حينما يتمسكون بدينهم ، وأن اجتماع اليهود في فلسطين سوف يُيَسر على المسلمين قتلهم ، وهذا من دلائل نبوته ﷺ التي ستتحقق إن شاء الله .

الكافي هو الله وحده

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسبُكَ الله وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤمِنِينَ ﴾ . [الأنفال ٦٤]

ذكر ابن القيم رحمه الله في تفسيرها أقوال :

١ ـ أي الله وحده كافيك ، وكافي أتباعك ، فلا تحتاجون معه إلى أحد .

٢ ـ إن ﴿ حَسبك ﴾ في معنى كافيك ، أي : الله يكفيك ، ويكفي مَن اتبعك كما تقول العرب : «حسبك وزيداً درهم» وهذا أصح التقديرين :

أي : ومَن اتبعك مِن المؤمنين فحسبهم الله .

٣ ـ المعنى : حسبك الله وأتباعك ، وهذا إن قاله بعض الناس فهو خطأ محض لا يجوز حمل الآية عليه ، فإن الحسب والكفاية لله وحده ، كالتوكل ، والتقوى ، والعبادة .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ يُرِيدوا أَنْ يَخدَعُوك فَإِنَّ حَسبَك الله ، هُو الَّذِي أَيدَكَ بِنَصرِهِ وَبِالمؤمِنين ﴾ . [الأنفال ٦٢]

ففرَّق بين الحسب والتأييد، فجعل الحسب لله وحده ، وجعل التأييد له بنصره، وبعباده.

وأثنى الله سبحانه على أهل التوحيد والتوكل من عباده ، حيث أفرده ، بالحسب ، فقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَاسُ إنَّ النَّاسَ قَد جَمَعُوا لَكُم فَاخشَوهُم فَزَادَهُم إِيمَاناً وَقَالُوا حَسبُنَا الله وَنِعمَ الوَكِيلُ ﴾ . [آل عمران ١٧٣]

ولم يقولوا حسبنا الله ورسوله .

فإذا كان قولهم ، ومدح الرب تعالى لهم بذلك ، فكيف يقول لرسوله : الله وأتباعك حسبك ؟ وأتباعه قد أفردوا الرب تعالى بالحسب ، ولم يشركوا بينه وبين رسوله فيه ، فكيف يشرك بينهم وبينه في حسب رسوله ؟ هذا من أمحل المحال وأبطل الباطل .

ونظير هذا قوله تعالى : ﴿ أَلَيسَ الله بِكَافٍ عَبدَهُ ﴾ . [الزمر ٣٦]

والحسب هو الكافي ، فأخبره سبحانه وتعالى أنه وحده كاف عبده ، فكيف يجعل أتباعه مع الله في هذه الكفاية ؟

والأدلة الدالة على بطلان هذا التأويل أكثر مِن أن نذكرها هنا .

[ويقصد المعنى الثالث] . [انظر زاد المعاد لابن القيم ج١/٣]

ترك الحكم بكتاب الله يسبب البلاء

قال الله تعالى : ﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً مِن فوقكم ، أو مِن تحتِ أرجُلِكم ، أو يَلبِسَكم شيعَاً ويُذيق بعضَكم بأسَ بعض ، أُنظر كيف نُصرِّف الآياتِ لعلهم يفقهون ﴾ . [الأنعام ٦٥]

لما نزلت هذه الآية : ﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً مِن فوقكم ﴾ .

قال رسول الله ﷺ : «أعوذ بوجهك» .

﴿ أو من تحت أرجلكم ﴾ قال : «أعوذ بوجهك» .

﴿ أو يَلبسَكم شيعاً ، ويُذيق بعضَكم بأسَ بعض ﴾ .

قال رسول الله ﷺ : «هاتان أهون أو أيسر» . [رواه البخاري وغيره]

وقال ﷺ : «إن الله زوى لي الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أُمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها ، وأُعطيتُ الكنزين الأحمر والأبيض ، وإني سألت ربي لأمتي : أن لا يُهلكها بسَنة عامَّة ، وأن لا يُسلط عليهم عدواً مِن سوى أنفسهم فيستبيح بيضتَهم ، وإن ربي قال : يا محمد ، إذا قضيتُ قضاء فإنه لا يُرَد ، وإني أعطيتك لأُمتك أن لا أُهلكهم بسنة عامة ، ولا أُسلّط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم مَن بأقطارها أو قال : مَن بين أقطارها حتى يكون بعضهم يُهلك بعضاً ، ويُسبي بعضهم بعضاً» . [رواه مسلم وغيره]

وقال ﷺ : «سألت ربي ثلاثاً فأعطاني ثنتين ومنعني من واحدة : سألت ربي أن لا يهلك أُمتي بالسنة فأعطانيها ، وسألته أن لا يُهلك أُمتي بالغرق فأعطانيها ، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها» .

[بسنة عامة : بجدب وشدة] [يستبيح بيضتهم : يأخذهم أسراً وقتلاً] . [رواه مسلم]

هذا البأس الذي يحل بالمسلمين مقيد بقوله ﷺ :

«وما لم تحكم أئِمتَهم بكتاب الله ، ويتخيروا مما أنزل الله ، إلا جعل الله بأسهم بينهم» .

[صححه الحاكم ووافقه الذهبي]

وزاد أبـو داود في الحديث الثاني : «وإنما أخاف على أُمتي الأئمة المضِلين ، وإذا وُضِعَ السيف في أُمتي لم يُرفع عنها إلى يوم القيامة ، ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل مِن أُمتي بالمشركين ، وحتى تعبدَ قبائلُ من أُمتي الأوثان ، وإنه سيكون في أُمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي ، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي ، ولا تزال طائفة من أُمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله» . «صحح إسناده الألباني»
[زوى : جمع] [الكنزين الأحمر والأبيض : الذهب والفضة] .

قال الطبري : وأما الذين تأولوا (فسروا) أنه عنى بجميع ما في هذه الآية هذه الأُمة فإني أراهم تأولوا ـ فسروا ـ أن في هذه الأُمة مَن سيأتي من معاصي الله وركوب ما يسخط الله ، نحو الذي ركب مَن قبلهم مِن الأمم السالفة ، مِن خلافه والكفر به ، فيحل بهم مثل الذي حل بمَن قبلهم مِن المثُلات والنقمات .
[انظر تفسير الطبرى تحقيق محمود شاكر ج١١ / ٤٣١]

مِن فوائد الآية والحديث

١ ـ قدرة الله تعالى على إرسال العذاب على الأمم من فوقهم أو من تحت أرجلهم فيبيدهم ويهلكهم ، وقد استعاذ الرسول ﷺ بوجه ربه أن ينزل بأمته مثل هذا العذاب كالغرق وغيره .

٢ ـ وفي الحديث إثبات الوجه لله تعالى على ما يليق به من غير تشبيه :
قال الله تعالى : ﴿ ليس كَمِثلِه شيء ﴾ . [الشورى ١١]

٣ ـ قدرة الله تعالى أن يجعل الأُمة تتفرق شيعاً وأحزاباً ، ويُسلط بعضها على بعض حينما يتركون الحكم بشريعة الله ، ويأخذون بالقوانين المخالفة لها ، كما هو واقع الآن ، مع الأسف الشديد .

٤ ـ قدرة الله تعالى أن يجمع الأرض لرسوله محمد ﷺ ، ليرى مشارقها ومغاربها ، وأن أُمته سيبلغ ملكها مقدار ما جُمع له فيها .

٥ ـ رحمة الله بالأُمة الإسلامية ، وعدم إرسال عذاب عام يستأصلها ، فإن وقع عليهم القحط لم يكن عاماً ، بل يكون في ناحية يسيرة بالنسبة إلى باقي بلاد الإسلام :
[ذكره النووي في شرح مسلم]

٦ ـ رحمة الله بالأمة الإسلامية ، وأنه لم يسلط عليهم عدواً خارجياً يقضي عليهم ، بل سلط بعضهم على بعض ، وهذا أسهل مما قبله .

٧ ـ خوف الرسول ﷺ على أمته من الأئمة المضلين الذين لا يأخذون بالكتاب والسنة ، والتحذير منهم .

٨ ـ إذا وُضع السيف في هذه الأمة ، فلن يُرفع عنها إلى يوم القيامة ، كما هو واقع الآن .

٩ ـ وجود الشرك في هذه الأمة : وهو صرف العبادة لغير الله : كالدعاء ، والحكم بغير ما أنزل الله ، وغيرهما .

١٠ ـ الإخبار عن وجود مَن يدعي أنه نبي وهو كذاب : كمُسَيلمة الكذاب في العصور الأولى ، وغلام ميرزا أحمد في العصر الحاضر ، مع أنه لا نبي بعد النبي ﷺ .

١١ ـ لا تزال طائفة من هذه الأمة متمسكين بالحق والإسلام والتوحيد إلى يوم القيامة .



تنزيه القرآن عن دسائس الشيطان

قال الله تعالى :

﴿ وَمَا أَرسَلنَا مِن قَبلكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبيٍ إلَّا إذا تَمنىٰ أَلقىَ الشَّيطَان في أُمنِيَّتِهِ فَينسَخُ الله مَا يُلقِي الشَّيطَانُ ، ثُمَّ يُحكِمُ الله ءَايَاتِه ، والله عَلِيمٌ حَكِيمٌ لِيجعَلَ مَا يُلقِي الشَّيطَان فِتنَةً لِلَّذينَ في قُلُوبِهم مَّرَضٌ ، وَالقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم ، وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ، وَلِيَعلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلم أَنَّهُ الحَقُّ مِن رَّبك فَيُؤمِنُوا بِهِ فَتُخبِتَ لَهُ قُلُوبُهُم ، وإِنَّ الله لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إلىٰ صِرَاطٍ مُستَقِيمٍ ﴾ . [الحج ٥٢ ـ ٥٤]

ـ ذكر بعض المفسرين ، ومنهم (المحلي) في الجلالين تفسيراً باطلاً فقال : (ألقى الشيطان في أمنيته) قراءته ما ليس من القرآن مما يرضاه المرسَل إليهم ، وقد قرأ النبي ﷺ في سورة النجم بمجلس من قريش بعد :

﴿ أفرأيتم اللاَّت والعزى ، ومَناة الثالثة الأخرى ﴾ بإلقاء الشيطان على لسانه من غير علمه ﷺ : «**تلك الغرانيق العلى ، وإن شفاعتهن لترتجى**» ففرحوا بذلك ؛ ثم أخبره جبريل بما ألقاه الشيطان على لسانه من ذلك ، فحزن ، فسُلِّيَ بهذه الآية .

٢ ـ إن كلامه هذا باطل ، فلقد اتفق العلماء على أن قصة الغرانيق التي ذكرها باطلة متناً وسنداً ، وهي من وضع الزنادقة ، وردها القاضي عياض في الشفاء ، وأبو بكر ابن العربي وابن كثير ، وغيرهم فيجب التحذير منها ، لأن أعداء الإسلام والمستشرقين يتخذونها مطعناً في القرآن ، وأن الشيطان يستطيع أن يُدخل في القرآن ما ليس منه ، وقد ألف المحدث الألباني رسالة قيمة لردها سماها :

«نصب المنجنيق لنسف قصة الغرانيق» وهي مطبوعة .

* * *

التفسير الصحيح للآية

إن أحسن ما قيل في تفسيرها هو ما اختصره الدكتور أبو شهبة في كتابه : (الموضوعات والإسرائيليات في التفسير) حيث قال في تفسير الآية :

ولـلإجابة عن ذلك أذكر خلاصة ما ذكره الأستاذ الإمام (محمد عبده) في تفسيرها ، وفي تفسيرها وجهان :

الأول : أن التمني بمعنى القراءة إلا أن الإلقاء لا بالمعنى الذي ذكره المبطلون . بل بمعنى إلقاء الأباطيل والشبه مما يحتمله الكلام ، ولا يكون مراداً للمتكلم ، أو لا يحتمله ، ولكن يدعى أن ذلك يؤدي إليه ، وذلك من عمل المعاجزين ، الذين دأبهم محاربة الحق ، يتبعون الشبهة ، ويسعون وراء الريبة ، ونسبة الإلقاء إلى الشيطان حينئذ لأنه مثير الشبهات بوساوسه ، ويكون المعنى :

وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا حدَّث قومه عن ربه ، أو تلا وحياً أنـزل الله فيه هداية لهم ، قام في وجهه مشاغبون يتقوَّلون عليه ما لم يقله ، ويُحرفون الكلم عن مواضعه ، وينشرون ذلك بين الناس ، ولا يزال الأنبياء يجادلـونهم ويجاهدون في سبيل الحق ، حتى ينتصر ، فينسخ الله ما يُلقي الشيطان مِن شُبَه ، ويُثبت الحق ، وقد وضع الله هذه السُنة في الخلق ليتميز الخبيث من الطيب ، فيفتتن ضعفاء الإيمان الذين في قلوبهم مرض ، ثم يتمحص الحق عند أهله ، وهم الذين أوتوا العلم ، فيعلمون أنه الحق من ربهم ، وتخبت له قلوبهم .

الثاني : أن التمني : المراد به : تشهي حصول الأمر المرغوب فيه وحديث النفس بما كان ويكون ، والأُمنيةِ من هذا المعنى : وما أرسل اللهُ مِن رسول ، ولا نبي ليدعـو قومـه إلى هُدى جديد ، أو شرع سابق إلا وغـاية مقصوده ، وَجُلّ أمانيه ، أن يؤمن قومه ، وكان نبينا من ذلك في المقام الأعلى : قال الله تعالى :

﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِم إنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً ﴾ .

[الكهف ٦]

﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ . [يوسف ١٠٣]

ويكون المعنى : وما أرسلنا من رسول ولا نبي ، إلا إذا تمنى هذه الأمنية السامية ألقى الشيطان في سبيله العثرات ، وأقام بينه وبين مقصده العقبات ووسوس في صدور الناس ، فثاروا في وجهه ، وجادلوه بالسلاح حيناً وبالقول حيناً آخر ، فإذا ظهروا عليه والدعوة في بدايتها . ونالوا منه وهو قليل الأتباع ، ظنوا أنَّ الحق في جانبهم ، وقد يستدرجهم الله جرياً على سنته ، يجعل الحرب بينهم وبين المؤمنين سِجالاً ، فينخدع بذلك الذين في قلوبهم شك ونفاق ، ولكن سرعان ما يمحق الله ما ألقاه الشيطان من الشبهات ، وينشيء من ضعف أنصار الحق قوة ، ومِن ذُلهم عزة ، وتكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ليَعلم الذين أوتوا العلم أن ما جاء به الرسل هو الحق ، فتُخبت له قلوبهم ، وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم . هذا هو الحق : وما عدا ذلك فهو باطل .

تفسير رائع للعلامة الشنقيطي

لقد فسر العلامة محمد الأمين الشنقيطي الآية تفسيراً رائعاً فقد ذكر في تفسيره :
ونحن وإن ذكرنا أن قوله : ﴿ فينسخ الله ما يُلقي الشيطان ﴾ يُستأنس به لقول من قال : إن مفعول الإلقاء المحذوف تقديره : ألقى الشيطان في قراءته ما ليس منها ، لأن النسخ هنا هو النسخ اللغوي ، ومعناه الإبطال والإزالة من قولهم : نسخت الشمس الظل ، ونسخت الريح الأثر ، وهذا كأنه يدل على أن الله ينسخ شيئاً ألقاه الشيطان ، ليس مما يقرؤه الرسول أو النبي ، فالذي يظهر لنا أنه الصواب وأن القرآن يدل عليه دلالة واضحة ، وإن لم ينتبه له من تكلم على الآية من المفسرين : هو أن ما يلقيه الشيطان في قراءة النبي الشكوك والوساوس المانعة من تصديقها وقبولها ، كإلقائه عليهم أنها سحر أو شعر، أو أساطير الأولين، وأنها مفتراة على الله ليست منزلة من عنده .

والدليل على هذا المعنى : أن الله بين أن الحكمة في الإلقاء المذكور إمتحان الخلق ، لأنه قال : ﴿ لِيجعَلَ ما يُلقى الشيطان فِتنة لِلذين في قلوبهم مَرَض ﴾ . [الحج ٥٣]

ثم قال : ﴿ وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتُخبت له قلوبهم ﴾ .
فقوله : ﴿ وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق ﴾ الآية :
يدل على أن الشيطان يُلقي عليهم : أن الذي يقرؤه النبي ليس بحق فيصدقه الأشقياء ، ويكون ذلك فتنة لهم ، ويكذبه المؤمنون الذين أوتوا العلم ، ويعلمون أنه الحق لا الكذب كما يزعم لهم الشيطان في إلقائه .
فهذا الإمتحان لا يناسب شيئاً زاده الشيطان من نفسه في القراءة ، والعلم عند الله تعالى .
وعلى هذا القول ، فمعنى نَسخُ ما يلقي الشيطان : إزالته وإبطاله ، وعدم تأثيره في المؤمنين الذين أوتوا العلم .
ومعنى يُحكم آياته : يُتقنها بالإحكام ، فيُظهر أنها وحي منزل منه بحق ، ولا يؤثر في ذلك محاولة الشيطان صدَّ الناس عنها بإلقائه المذكور ، وما ذكره هنا من أنه يسلط الشيطان فيلقي في قراءة الرسول والنبي ، فتنة للناس ليظهر مؤمنهم من كافرهم .
بذلك الامتحان ، جاء موضحاً في آيات كثيرة قدمناها مراراً كقوله :
﴿ وما جعلنا أصحابَ النار إلا ملائكةً وما جعلنا عِدَّتهم إلا فتنةً للذينَ كفروا ليستَيقن الذينَ أوتوا الكتابَ ويزدادَ الذينَ آمنوا إيماناً ولا يرتاب الذين أوتوا الكتابَ والمؤمنونَ ، وليقولَ الذينَ في قلوبهم مرض والكافرونَ ماذا أراد الله بهذا مثلاً ، كذلك يُضل الله مَن يشاءُ ويهدي مَن يشاءُ ﴾ . [المدثر ٣١]
وقوله تعالى : ﴿ وما جعلنا القبلةَ التي كنتَ عليها إلا لنعلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسولَ مِمَّن ينقلبُ على عقِبَيْهِ ﴾ . [البقرة ١٤٣]
وقوله : ﴿ وما جعلنا الرؤيَا التي أريناكَ إلا فِتنةً للناس والشجرة الملعونةَ في القرآن ﴾ . [الإسراء ٦٠]
أي لأنها فتنة ، كما قال :
﴿ أذلكَ خيرٌ نُزلاً أم شجرةُ الزقُّوم إنا جعلناها فتنةً للظالمينَ إنها شجرةٌ تخرجُ في أصل الجحيم ﴾ الآية . [سور الصافات ٦٢، ٦٣، ٦٤]
لأنه لما نزلت هذه الآية قالوا : ظهر كذب محمد ﷺ لأن الشجر لا ينبت في الموضع اليابس ، فكيف تنبت شجرة في أصل الجحيم إلى غير ذلك من الآيات ، كما تقدم إيضاحه مراراً ، والعلم عند الله تعالى .
واللام في قوله : ﴿ ليجعل ما يُلقي الشيطانُ ﴾ الآية :

الأظهر أنها متعلقة بألقَى أي ألقى الشيطان في أُمنيَّة الرسل والأنبياء ، ليجعل الله ذلك الإلقاء فتنة للذين في قلوبهم مرض ، خلافاً للحوفي القائل : إنها متعلقة بـ (يُحكِم) ، وابن عطيه القائل : إنها متعلقة بـ (ينسخ) .

ومعنى كونه : فتنة لهم أنه سبب لتماديهم في الضلال والكفر .

وقوله : ﴿ ليجعل ما يُلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض ﴾ . [الحج ٥٣]

أي كفر وشك . [أنظر أضواء البيان ج٥/٧٣٢]

من فوائد الآية

١ ـ إلقاء الشيطان في قراءة النبي ﷺ الشكوك والوساوس المانعة من تصديقها وقبولها ، كإلقائه على الكفرة أنها سحر أو شعر أو أساطير الأولين ، وأنها مفتراة على الله ، كما ذكر القرآن ذلك كله ، ورَدَّ هذه الشبهات كلها .

٢ ـ الأنبياء عليهم السلام كلهم يتمنون إيمان قومهم ، ولكن الشياطين تضع العراقيل والعقبات والوساوس في صدور الناس ، وهذه الوساوس جعلها الله اختباراً للذين في قلوبهم مرض وشك ، فيجازيهم على أعمالهم ، وليعلم الله في هذا الاختبار المؤمنين بالحق ، ويهديهم إلى صراط مستقيم .

٣ ـ بيان سنة الله في إلقاء الشيطان في قراءة الرسول ﷺ أو النبي للفتنة .

٤ ـ بيان أن الفتنة يهلك فيها مرضى القلوب وقساتها ، ويخرج منها المؤمنون أكثر يقيناً وأعظم هدىً .

٥ ـ بيان حكم الله تعالى بين عباده يوم القيامة بإكرام أهل الإيمان والتقوى وإهانة أهل الشرك والمعاصي .

«الفوائد الأخيرة مأخوذة من كتاب أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري ج ١٧١/٣»



الفسق وأثره في هلاك الأمة

قال الله تعالى : ﴿ **وإذا أردنا أن نُهلك قريةً أمَرنا مُترفيها ففَسَقوا فيها فحَقَّ عليها القولُ فدمَّرناها تدميراً** ﴾ . [الإسراء ١٦]

١ ـ ﴿ **أمرنا مُترفيها** ﴾ بطاعة الله وتوحيده وتصديق رسله واتباعهم فيما جاءوا به
﴿ **ففسَقوا** ﴾ أي خرجوا عن طاعة أمر رَبهم وعصوه وكذبوا رُسله :
﴿ **فحَقَّ عليها القول** ﴾ أي وجب عليها الوعيد .
﴿ **فدمَّرناها تدميراً** ﴾ أي أهلكناهم إهلاكاً مستأصلاً .
وهذا القول الذي هو الحق تشهد له آيات كثيرة كقوله تعالى :
﴿ **وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء . .** ﴾ [الآية] [سورة الأعراف ٢٨]
فتصريحه جل وعلا بأنه لا يأمر بالفحشاء دليل واضح على أن قوله :
﴿ **أمرنا مترفيها ففسقوا** ﴾ أي أمرناهم بالطاعة فعصَوا .
وليس المعنى أمرناهم بالفسق ففسقوا ، لأن الله لا يأمر بالفحشاء .
وهذا القول الصحيح في الآية جارٍ على الأسلوب العربي المألوف من قولهم : أمرته فعصاني : أي أمرته بالطاعة فعصى ، وليس المعنى أمرته بالعصيان كما لا يخفى .

٢ ـ ﴿ **أمَرنا وآمرنا** ﴾ : أي أكثرنا جبابرتها وأمراءها ، قاله الكسائي .
[أنظر أضواء البيان للشنقيطي ٣/٤٤١]

٣ ـ ﴿ **أمَرنا مُترفيها** ﴾ يقول : سَلطنا أشرارها فعصَوا فيها ، فإذا فعلوا ذلك أهلكهم الله بالعذاب ، وهو كقوله : ﴿ **وكذلك جعلنا في كل قرية أكابِرَ مُجرميها** ﴾ .
[الأنعام ١٢٣]
قاله علي بن طلحة عن ابن عباس ، وهو قول أبي العالية ومجاهد والربيع بن أنس .

٤ ـ ﴿ **وإذا أردنا أن نهلك قرية أمَرنا مُترفيها** ﴾ أكثرنا عددهم .
قاله العوفي عن ابن عباس . [أنظر تفسير ابن كثير ج٣/٣٣]

من فؤائد الآية

١ ـ أن غير المترفين تبع لهم ، فهلكوا معهم .

٢ ـ أن الهلاك يعم الجميع : ﴿ **واتقوا فتنة لا تُصيبَن الذين ظلموا منكم خاصة** ﴾ .
[الأنفال ٢٥]

ولما سئل الرسول ﷺ : (**أنهلِك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم إذا كثر الخبَث**) .
[الخبَث : المعاصي والفسق والفجور] . [رواه البخاري]

أما إذا كان في البلد مصلحون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فلن يهلكوا .

قال الله تعالى : ﴿ **وما كان رَبك لِيُهلك القُرى بظلم وأهلُها مُصلِحون** ﴾ .

[لأن المصلحين يريدون إصلاح الناس بخلاف الصالحين] . [هود ١١٧]

٣ ـ عدالـة الله في إهـلاك الأُمم ، وأنها لا تهلك إلا بعد الإنذار بالرسل لقول الله تعالى : ﴿ **وما كنا مُعَذِّبين حتى نبعثَ رسولاً** ﴾ . [الإسراء ١٥]

٤ ـ التحذير من الترف ، فإنه يؤدي إلى الفسق بترك الطاعة ، ثم يؤدي إلى الهلاك والدمار .

٥ ـ تقرير عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر والعدالة الإلهية .



معنى قوله تعالى
﴿ ووَجـدَك ضـالاً فهـدى ﴾

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطى في دفع إيهام الاضطراب :

هذه الآية الكريمة يوهم ظاهرها أنَّ النبي ﷺ كان ضالاً قبل الوحي ، مع أن قوله تعالى :
﴿ فَأَقِم وَجهَكَ لِلدِينِ حَنيفاً فِطرَةَ الله الَّتي فَطر النَّاسَ عَلَيهَا ﴾ . [الروم ٣٠]
يدل على أنه ﷺ فُطر على هذا الدين الحنيف ، ومعلوم أنه لم يهوده أبواه ، ولم ينصراه ، ولم يمجساه ؛ بل لم يزل باقياً على الفطرة حتى بعثه الله رسولاً ، ويدل على ذلك ما ثبت من أن أول نزول الوحي عليه كان وهو يتعبد في غار حراء ، فذلك التعبد قبل نزول الوحي دليل على البقاء على الفطرة .

والجواب : أن معنى قوله ﴿ ضالاً فهدى ﴾ أي غافلاً عما تعلمه الآن من الشرائع وأسرار علوم الدين التي لا تُعلم بالفطرة ولا بالعقل ، وإنما تُعلم بالوحي ، فهداك إلى ذلك بما أوحى إليك ، فمعنى الضلال على هذا القول : الذهاب عن العلم .

ومنه بهذا المعنى قوله تعالى : ﴿ أَنْ تَضِلَّ إحدَاهُمَا فَتُذَكِرَ إحدَاهُما الأُخرىٰ ﴾ [البقرة ٢٨٢]
وقوله : ﴿ لا يَضِلُّ رَبي وَلاَ يَنسَى ﴾ . [طه ٥٢]
وقوله : ﴿ قَالُوا تَاللهِ إنَّكَ لَفِي ضَلاَلِك الْقَدِيم ﴾ . [يوسف ٩٥]
ويدل لهذا قوله تعالى : ﴿ مَا كُنتَ تَدرِي مَا الكِتَابُ وَلاَ الإيمان ﴾ . [الزخرف ٥٢]
لأن المراد بالإيمان شرائع دين الإسلام .
وقوله : ﴿ وإن كنت مِن قبلِهِ لَمِنَ الغافلين ﴾ . [يوسف ٣]
وقوله : ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَم تَكُن تَعلَمُ ﴾ . [النساء ١١٣]
وقوله : ﴿ وَمَا كُنتَ تَرجُوا أَن يُلقَىٰ إلَيكَ الكتابُ إلاَّ رَحمَةً مِن رَّبكَ ﴾ . [القصص ٨٦]

وقيل : المراد بقوله : ضالاً : ذهابه وهو صغير في شعاب مكة ، وقيل ذهابه في سفره إلى الشام ، والقول الأول هو الصحيح ، والله تعالى أعلم ، ونسبة العلم إلى الله أسلم . انتهى . [أضواء البيان ج٩/٣٣٤]

النهي عن التشبه بالكفار

قال الله تعـالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعِنا ، وقولوا انظُرنا واسمَعوا وللكافرين عذابٌ أليم** ﴾ . [البقرة ١٠٤]

يقول الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية :

نهى الله تعالى عباده المؤمنين أن يتشبهوا بالكافرين في مقالهم وفعالهم ، وذلك أن اليهود كانوا يعنون من الكلام ما فيه تورية لما يقصدونه من التنقيص ـ عليهم لعائن الله ـ فإذا أرادوا أن يقولوا اسمع لنا يقولوا راعنا ، ويُوَرّون بالرعونة كما قال تعالى :

﴿ **مِن الذين هادوا يُحرِّفون الكَلِمَ عن مواضعه ، ويقولون سمعنا وعصينا ، واسمع غير مُسمَعٍ وراعنا لَيّاً بألسنتهم وطعناً في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظُرنا لكان خيراً لهم وأقوم ، ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً** ﴾ . [النساء ٤٦]

وكذلك جاءت الأحاديث بالإخبار عنهم بأنهم كانوا إذا سلَّموا إنما يقولون : (السامُ عليكم) ، والسام هو الموت ، ولهذا أمرنا الله أن نرد عليهم بـ (**وعليكم**) ، وإنما يستجاب لنا فيهم ، ولا يستجاب لهم فينا ، والغرض أن الله تعالى نهى المؤمنين عن مشابهة الكفار قولاً وفعلاً ، فقال :

﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم** ﴾ .

وذكر بسند صحيح عن الرسول ﷺ أنه قال :

«**بُعثتُ بين يدَيِ الساعة بالسيف ، حتى يُعبد الله وحده لا شريك له ، وجُعل رزقي تحت ظِل رمحي ، وجُعل الذل والصَّغار على من خالف أمري ، ومن تشبَّه بقوم فهو منهم**» . [صحيح رواه أحمد وغيره]

ففيه دلالـة على النهي الشديد ، والتهديد والوعيد على التشبه بالكفار في أقوالهم وأفعالهم ولباسهم وأعيادهم وعباداتهم ، وغير ذلك من أمورهم التي لم تُشرَع لنا ، ولا نُقَرُّ عليها .

ثم ذكر بسند أن رجلاً أتى عبدالله بن مسعود فقال : إعهدْ إليَّ ، فقال : إذا سمعت الله يقول : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ فأرعها سمعك ، فإنه خير يأمر به ، أو شر ينهى عنه .

وقال ابن جرير : والصواب عندنا أن الله تعالى نهى المؤمنين أن يقولوا لنبيه ﷺ (راعنا) ، لأنها كلمة كرهها الله تعالى أن يقولها لنبيه ﷺ نظير الذي ذكر النبي ﷺ أنه قال : «**لا تقولوا للعنب الكرم ، ولكن قولوا الحبَلَة ، ولا تقولوا عبدي ، ولكن قولوا فتاي**» . [أول الجزء من الحديث رواه مسلم ، والثاني رواه أحمد وهو صحيح ج١/١٤٨]

[الحبَلة : أصل شجرة العنب ، وقضيبها] .

من فوائد الآية

١ ـ النهي عن التشبه بالكفار في أقوالهم وأفعالهم ، ولباسهم ، وعاداتهم ، وأعيادهم ، وعبادتهم ، ويجوز ، بل يجب العمل على مجاراتهم في الاختراعات الحديثة كالطائرات والدبابات والغواصات ، وغيرها مما يساعد على تقوية المسلمين لقول الله تعالى : ﴿ **وأعِدوا لهم ما استَطعتم مِن قوة** ﴾ . (الأنفال ٦٠)

٢ ـ الأدب مع رسول الله ﷺ ، وعدم مخاطبته بكلمات لا تناسب قدره ، كقول اليهود للرسول ﷺ : ﴿ راعِنا ﴾ ويريدون بها التنقيص .

٣ ـ هناك ألفاظ ورد النهي عنها : كقولك للعِنب : الكَرْم ، بل قل : الحَبَلَة ، ولا تقل : عبدي ، بل قل : فتاي .



صفات عباد الرحمن

١ ـ قال الله تعالى : ﴿ وعبادُ الرحمن الذين يمشون على الأرض هَوْناً ﴾ . [الفرقان ٦٣]
من صفاتهم أنهم يمشون بسكينة ووقار وتواضع ، لا يضربون بأقدامهم تكبراً ، فقد قال تعالى : ﴿ ولا تمشِ في الأرض مرَحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلُغ الجبال طولاً ﴾ . [الإسراء ٣٧]
قال ابن كثير : ﴿ ولا تمشِ في الأرض مرحاً ﴾ :
أي متبختراً متمايلاً مشي الجبارين ، فلن تقطع الأرض بمشيك .
وقوله : ﴿ ولن تبلغ الجبال طولاً ﴾ أي بتمايلك وفخرك وإعجابك بنفسك ؛ بل قد يجازى فاعل ذلك بنقيض قصده .
[والمتكبرون يحشرون يوم القيامة كأمثال الذر] .

٢ ـ ﴿ وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ﴾ . [الفرقان ٦٤]
أي إذا خاطبهم السفهاء بالقول السيّء لم يقابلوهم بمثله ، بل قالوا كلاماً فيه سلام من الإيذاء والإثم ، سواء كان بصيغة السلام كقولهم : (سلام عليكم) أو غيرها مما فيه لطف في القول ، أو عفو أو صفح ، وكظم للغيظ ، دفعاً بالتي هي أحسن.
[أنظر تفسير القاسمي]

٣ ـ ﴿ والذين يبيتون لربهم سُجَّداً وقياماً ﴾ . [الفرقان ٦٤]
يكون لهم في الليل صلاة وقيام ودعاء كما قال تعالى في وصفهم :
﴿ تتجافى جنوبُهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم يُنفقون ﴾ .
[السجدة ١٦]

قال رسول الله ﷺ : «مَن تعارَّ من الليل فقال :
لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .
سبحان الله والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ،
ثم قال : اللهم اغفر لي ، أو دعا استجُيب له ، فإن توضأ وصلَّى قُبلت صلاته» .
[رواه البخاري وغيره]

(تعارَّ : استيقظ وقال بصوت) وقد قرأت هذا الدعاء فكانت الإجابة .

٤ ـ ﴿ **والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غَراماً إنها ساءت مُستقراً ومُقاما** ﴾ . [الفرقان ٦٥ ـ ٦٦]

ومن صفاتهم أنهم يدعون ربهم أن يصرف عنهم عذاب النار ، لأن عذابها هلاك دائم ، وبئس المقام والمستَقَر فيها ، وفي الآية ردٌ على الصوفية القائلين بأنهم لا يعبدون الله خوفاً من ناره .

٥ ـ ﴿ **والذين إذا أنفقوا لم يُسرفوا ولم يَقتُروا ، وكان بين ذلك قَواما** ﴾ . [الفرقان ٦٧]

وصفهم الله بالقصد ، فهم لا يُسرفون في الإنفاق ، ولم يُضيقوا على أنفسهم وأهليهم بالبخل ، بل كانوا متوسطين :

وقال الطبري في تفسير الآية :

«الإسراف في النفقة الذي عناه الله في هذا الموضع : ما جاوز الحد الذي أباحه الله لعباده إلى ما فوقه .

والإقتار : ما قصرَّ عما أمر الله به . والقَوام بين ذلك» .

أقول : ويوضح معنى هذه الآية قوله تعالى :

﴿ **ولا تجعل يدك مغلولَة الى عنُقِك ، ولا تبسطها كل البَسْط ، فتقعُد مَلوماً محسوراً** ﴾ . [الإسراء ٢٩]

يقول تعالى : آمراً بالاقتصاد ذاماً للبخل ناهياً عن السرف ، لا تكن بخيلاً مَنوعاً لا تعطي أحداً شيئاً ، ولا تسرف في الإنفاق ، فتعطي فوق طاقتك ، وتُخرج أكثر من دخلك ، فتقعد إن بخلت ملوماً يلومك الناس ويذمونك ، ويستغنون عنك ، ومتى بسطت يدك فوق طاقتك قعدت بلا شيء تنفقه فتكون كالحسير ، وهو كالدابة التي عجزت عن السير فوقفت ضعفاً وعجزاً فإنها تسمى الحسير ، هكذا فسرَّ هذه الآية بأن المراد هنا البخل والسرَف : ابن عباس والحسن . .

[انظر تفسير ابن كثير ج٣/٣٧]

٦ ـ ﴿ **والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر** ﴾ . [الفرقان ٦٨]

هذه صفة مهمة جداً ، وهي أنهم يوحدون الله ، ولا يشركون به أحداً في جميع عباداتهم ، ولا سيما الدعاء لأنه من العبادة ، ولأن دعاء غير الله من الأموات ـ ولو كانوا أنبياء أو أولياء ـ هو من الشرك الذي يحبط العمل ، «**ولما سُئل رسول الله**

ﷺ : **أي الذنب أعظم ؟ قال : «أن تدعو لله نِدّاً وهو خلقك»** . [متفق عليه]
(النِدُّ : المثيل ، ومعناه أن تدعو غير الله ، وتجعله مماثلاً له] .

٧ ـ **﴿ ولا يقتلون النفس التي حرَّم الله إلا بالحق ﴾** . [الفرقان ٦٨]

ومن صفاتهم أنهم لا يقتلون النفس التي حرم الله قتلها ، ومنها الوأد وغيره ، إلا بالحق المزيل لحرمتها : كالردة ، والقاتل لغيره ، والساعي في الأرض فساداً ، فيُقتلون بحق .

٨ ـ **﴿ ولا يزنون ﴾** فعباد الرحمن لا يقربون الزنا ، لأنه فاحشة وساء سبيلاً ، وفيه ضرر على الفرد والجماعة ، حيث يورث الأمراض ، ويضيع الأنساب ، ويُدمر الأسرة وغير ذلك من المخاطر .

﴿ ومن يفعل ذلك يَلقَ أثاماً ، يُضاعَفْ له العذابُ يوم القيامة ويَخلُد فيه مُهاناً ﴾ .
[الفرقان ٦٨ ـ ٦٩]

ومن يفعل ما تقدم من الكبائر كدعاء غير الله ، وقتل النفس ، والزنا ، **فإنه يلقى** جزاءً يوم القيامة بأن يكرر عليه العذاب ، ويخلد فيه ذليلاً حقيراً .

﴿ إلا من تاب ﴾ إلى الله في الدنيا من جميع ما فعل ، فإن الله يتوب عليه إذا قام بشروط التوبة .

٩ ـ **﴿ والذين لا يشهدون الزور ﴾** . [الفرقان ٧٢]

قال الطبري : وأولى الأقوال بالصواب أن يقال :
والذين لا يشهدون شيئاً من الباطل ، لا شِركاً ، ولا غِناء ، ولا كذباً ، ولا غيره ، وكل ما لزمه اسم الزور ، لأن الله عَمَّ في وصفه إياهم أنهم لا يشهدون الزور ، فلا ينبغي أن يخص من ذلك شيء إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو فعل ، وقد قال رسول الله ﷺ :

«**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر**» ثلاثاً ، قلنا : بلى يا رسول الله ، قال : «**الشرك بالله ، وعقوق الوالدين**» وكان متكئاً فجلس فقال : «**ألا وقول الزور ؛ ألا وشهادة الزور**» ، فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت . [متفق عليه]

١٠ ـ **﴿ وإذا مَرّوا باللغوِ مَروا كِراماً ﴾** . [الفرقان ٧٢]

جاوزوه حلماء معرضين عنه . قال الطبري : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي أن يقال : إن الله أخبر عن هؤلاء المؤمنين الذين مدحهم بأنهم إذا مروا

باللغو مروا كراماً ، واللغو في كلام العرب هو كل كلام أو فعل باطل لا حقيقة له ولا أصل ، أو ما يُستقبح ، فسَبُّ الإنسانِ الإنسانَ بالباطل الذي لا حقيقة له من اللغو ، وذِكر النكاح بصريح اسمه مما يستقبح في بعض الأماكن ، فهو من اللغو ، وكذلك تعظيم المشركين آلهتهم من الباطل الذي لا حقيقة لما عظموه على نحو ما عظموه ، وسماع الغناء هو مما يستقبح في أهل الدين ، فكل ذلك يدخل في معنى اللغو ، فلا وجه ـ إذا كان كل ذلك يلزمه اسم اللغو ـ أن يقال : عنى به بعض ذلك دون بعض ، إذ لم يكن لخصوص ذلك دلالة من خبر أو عقل .

١١ ـ ﴿ **والذين إذا ذُكّروا بآيات ربهم لم يَخِرّوا عليها صُمّاً وعُميانا** ﴾ . [الفرقان ٧٣]

قال ابن كثير : وهذه أيضاً من صفات المؤمنين :

﴿ **الذين إذا ذُكر الله وُجِلَتْ قلوبُهم ، وإذا تُليتْ عليهم آياتُه زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون** ﴾ . [الأنفال ٢]

بخلاف الكافر فإنه إذا سمع كلام الله لا يؤثر فيه ولا يتغير عما كان عليه . بل يبقى مستمراً على كفره وطغيانه وجهله وضلاله .

فقوله : ﴿ **لم يَخِرّوا عليها صماً وعمياناً** ﴾ .

سئل الشعبي عن الرجل يرى القوم سجوداً ولم يسمع ما سجدوا ، أيسجد معهم ؟

قال فتلا هذه الآية : ﴿ **والذين إذا ذكروا . . .** ﴾ .

يعني أنه لا يسجد معهم ، لأنه لم يتدبر أمر السجود ، ولا ينبغي للمؤمن أن يكون إمَّعة ، بل يكون على بصيرة من أمره ، ويقين واضح بين .

وقال قتادة في تفسير قوله تعالى :

﴿ **والذين إذا ذُكروا بآيات ربهم لم يَخِروا عليها صُمّاً وعُميانا** ﴾ .

يقول : لم يَصُمّوا عن الحق ولم يعموا فيه ، فهم والله قوم عقلوا عن الحق ، وانتفعوا بما سمعوا من كتابه . [ج٣/٣٢٩]

١٢ ـ ﴿ **والذين يقولون ربنا هَبْ لنا من أزواجنا وذُرِّياتنا قُرَّة أُعين** ﴾ . [الفرقان ٧٤]

قال ابن كثير : يعني الذين يسألون الله أن يُخرج من أصلابهم ومن ذرياتهم من يطيعه ويعبده وحده لا شريك له .

١ ـ قال ابن عباس : يعنون من يعمل بطاعة الله فتَقَرُّ به أعينهم في الدنيا والآخرة .

٢ ـ قال عكرمة : لم يريدوا بذلك صباحة ولا جمالاً ولكن أرادوا أن يكونوا مطيعين .

٣ ـ وسئل الحسن البصري عن هذه الآية فقال : أن يُريَ الله العبد المسلم من زوجته ومن أخيه ومن حميمه طاعة الله . لا والله لا شيء أقَرُّ لعين المسلم من أن يرى ولداً أو ولدَ ولدٍ أو أخاً أو حميماً مطيعاً لله عز وجل .

١٣ ـ ﴿ **واجعلنا للمتقين إماماً** ﴾ اجعلنا أئمة يُهتدى بنا .

قال ابن كثير : قال ابن عباس والحسن والسدي :

اجعلنا أئمة يُقتدى بنا إلى الخير .

وقال غيرهم : اجعلنا هداة مهتدين دعاة إلى الخير .

﴿ **أولئك يُجزَون الغُرفة بما صبروا ، ويُلقَّون فيها تحية وسلاماً ، خالدين فيها حسُنت مُستقَراً ومُقاماً** ﴾ . [الفرقان ٧٥ ـ ٧٦]

قال ابن كثير : لما ذكر تعالى من أوصاف عباده المؤمنين ما ذكر من الصفات الجميلة ، والأقوال والأفعال الجميلة ، قال بعد ذلك (**أولئك**) المتصفون بهذه (**يُجزون**) يوم القيامة (**الغرفة**) وهي الجنة (**بما صبروا**) أي على القيام بذلك (**ويُلَقَّون فيها**) أي في الجنة (**تحية وسلاماً**) أي يُبتدرون فيها بالتحية والإكرام ، ويلقون التوقير والاحترام ، فلهم السلام وعليهم السلام ، فإن الملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار .

وقوله تعالى : ﴿ **خالدين فيها** ﴾ **أي مقيمين ولا يُحولون ، ولا يموتون ، ولا يزالون عنها .**

وقوله تعالى : ﴿ حَسُنت مُستقراً ومُقاماً ﴾ .

أي حسنت منظراً ، وطابت مقيلاً ومنزلاً . [ج٣/ ٣٣٠]

من فوائد الآيات

١- فضيلة التواضع والسكينة في المشي وتحريم التكبر .

٢- فضيلة رد السيئة بالحسنة .

٣- فضل قيام الليل والدعاء .

٤- فضيلة الاعتدال في النفقة .

٥- تحريم الشرك والقتل والزنى .

٦- التوبة تمحي الذنوب بشروطها .

٧- تحريم شهود الزور وشهادته .

٨- فضيلة الإعراض عن اللغو .

٩- فضل تدبر القرآن والعمل به .

١٠- من اتصف بصفات عباد الرحمٰن فله الجنة والتكريم .

كيفية الدعوة إلى الله

قال الله تعالى : ﴿ **ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمةِ والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن** ﴾ . [النحل ١٢٥]

١ ـ قال ابن كثير في تفسير هذه الآية :

يقول الله تعالى آمراً رسوله محمداً ﷺ أن يدعو الخلق إلى الله بالحكمة .

قال ابن جرير : وهو ما أنزله عليه من الكتاب والسنة ، والموعظة الحسنة : أي بما فيه من الزواجر والوقائع بالناس ، ذكرهم بها ليحذروا بأس الله تعالى .

وقوله : ﴿ **وجادلهم بالتي هي أحسن** ﴾ أي من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال ، فليكن بالوجه الحسن برفق ولين ، وحسن خطاب ، كقوله تعالى :

﴿ **ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم** ﴾ . [العنكبوت ٤٦]

فأمره تعالى بلين الجانب ، كما أمر به موسى وهارون عليهما السلام حين بعثهما إلى فرعون بقوله :

﴿ **فقولا له قولاً ليناً لعلَّه يتذكر أو يخشى** ﴾ . [طه ٤٤] [ج٢/٥٩١]

٢ ـ وقال ابن القيم في تفسير الآية السابقة :

جعل الله سبحانه وتعالى مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق :

أ ـ فالمستجيب القابل الذكي الذي لا يعاند الحق ولا يأباه يُدعى بطريق الحكمة .

ب ـ والقابل الذي عنده نوع غفلة وتأخر : يدعى بالموعظة الحسنة ، وهي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب .

ج ـ والمعاند الجاحد يجادل بالتي هي أحسن .

هذا هو الصحيح في معنى هذه الآية ، لا ما يزعم أسير منطق اليونان : أن الحكمة : قياس البرهان ، وهي دعوة الخواص ، والموعظة الحسنة : قياس

الخطابة ، وهي دعوة العوام ، وبالمجادلة بالتي هي أحسن : القياس الجدلي ، وهو رد شغب المشاغب بقياس جدلي مسلَّم المقدمات . وهذا باطل ، وهو مبني على أصول الفلسفة ، وهو مناف لأصول المسلمين ، وقواعد الدين من وجوه كثيرة ليس هذا موضع ذكرها . [مفتاح دار السعادة ج١/١٩٣]

من فوائد الآية

١ ـ وجوب الدعوة إلى الإسلام والبدء بالتوحيد ، وهو واجب كفائي إذا قام به البعض أجزأ عن الباقين .

٢ ـ بيان أسلوب الدعوة : وهو أن يكون بالكتاب والسنة .

٣ ـ دعوة الناس تكون بالرفق واللين ، والابتعاد عن الغلظة والشدة :

قال تعالى : ﴿ **فبما رحمةٍ من الله لِنتَ لهم ، ولو كنت فَظًّاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك ، فاعفُ عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر** . . ﴾ . [آل عمران ١٥٩]



الدعوة تقوم على العلم

قال الله تعالى : ﴿ **قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتَّبَعني ، وسبحان الله وما أنا من المشركين** ﴾ . [يوسف ١٠٨]

١ ـ قال الحافظ ابن كثير في تفسير الآية :

يقول تعالى لرسوله ﷺ إلى الثقلين الجن والإنس آمراً له أن يخبر الناس أن هذه سبيله أي طريقته ومسلكه وسنته ، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده ولا شريك له ، يدعو الله بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان ، هو وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي .

وقوله : ﴿ **وسبحان الله** ﴾ أي وأُنزِّه الله وأُجله وأُعظمه وأُقدسه عن أن يكون له شريك ، أو نظير أو عديل ، أو نديد ، أو ولد ، أو والدة ، أو صاحبة ، أو وزير ، أو مشير تبارك وتقدس وتنزه عن ذلك كله عُلواً كبيراً . [ج٢/٤٩٥]

٢ ـ وقال الطبري : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : قل يا محمد : هذه الدعوة التي أدعو إليها ، والطريقة التي أنا عليها من الدعاء إلى توحيد الله ، وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان ، والانتهاء إلى طاعته ، وترك معصيته (**سبيلي**) وطريقتي ودعوتي أدعو إلى الله وحده لا شريك له .

(**على بصيرة**) بذلك ويقين وعلم مني به أنا ، ويدعو إليه على بصيرة أيضاً من اتبعني وصدقني وآمن بي .

(**وسبحان الله**) يقول تعالى ذكره : وقل تنزيهاً لله ، وتعظيماً له من أن يكون له شريك في ملكه ، أو معبود سواه في سلطانه .

(**وما أنا من المشركين**) يقول : وأنا بريء من أهل الشرك به ، لست منهم ، ولا هم مني . [تفسير الطبري تحقيق محمود شاكر ج١٦/٢٩٠]

من فوائد الآية وتفسيرها

١ ـ الأمر بالدعوة إلى توحيد الله ، وتقديمه على غيره .

٢ ـ التوحيد يتمثل في كلمة لا إله إلا الله : (لا معبود بحق إلا الله) .

٣ ـ الداعية يجب أن يدعو على علم وبصيرة في أمور دينه ، فينفع الناس ، والجاهل يضر أكثر مما ينفع .

٤ ـ تنزيه الله تعالى عن الشريك في الذات والصفات .

٥ ـ البراءة من الشرك : وهو صرف نوع من أنواع العبادة لغير الله : كدعاء الأموات ، أو الغائبين ، أو الحكم بغير الإسلام . .

٦ ـ العلم قبل القول والعمل ، قال تعالى : ﴿ **فاعلم أنه لا إلٰه إلا الله** ﴾ [سورة محمد ١٩]

وقال البخاري في كتابه : (باب العلم قبل القول والعمل) .

قلت : إن المسلم لا يستطيع أن يقول ويعمل عملاً صحيحاً مقبولاً قبل أن يعلم .



استجيبوا لله وللرسول

قال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يُحييكم ، واعلموا أن الله يَحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تُحشرون** ﴾ . [الأنفال ٢٢]

١ ـ قال البخاري : ﴿ **استجيبوا** ﴾ أجيبوا ﴿ **لما يُحييكم** ﴾ لما يصلحكم .

٢ ـ وقال مجاهد : في قوله : ﴿ **يُحييكم** ﴾ قال للحق .

٣ ـ وقال قتادة : قال هذا هو القرآن فيه النجاة والبقاء والحياة .

٤ ـ وقال السدي : ﴿ **لما يُحييكم** ﴾ ففي الإسلام احياؤهم بعد موتهم بالكفر .

٥ ـ وقال عروة بن الزبير : ﴿ **لما يحييكم** ﴾ أي للحرب التي أعزكم الله تعالى بها بعد الذل ، وقواكم بها بعد الضعف ، ومنعكم من عدوكم بعد القهر منهم لكم .

[انظر ابن كثير ٢/٢٩٧]

وإنما سمي الجهاد حياة ، لأن في وهن عدوهم بسببه حياة لهم وقوة ، أو لأنه سبب الشهادة الموجبة للحياة الدائمة ، أو سبب المثوبة الأخروية التي هي مَعدِن للحياة كما قال تعالى :

﴿ **وإن الدار الآخرة لهي الحيَوان** ﴾ . [العنكبوت ٦٥]

(أي الحياة الدائمة) . [ذكره القاسمي في محاسن التأويل ج٨/٣٤]

٦ ـ وقال الفراء : ﴿ **لما يحييكم** ﴾ إحياء أمورهم .

فيُخرَّج في إحيائهم خمسة أقوال :

الأول : أنه إصلاح أمورهم في الدنيا والآخرة .

الثاني : بقاء الذكر الجميل لهم في الدنيا ، وحياة الأبد في الآخرة .

الثالث : أنه دوام نعيمهم في الآخرة .

الرابع : أنه كونهم مؤمنين ، لأن الكافر كالميت .

الخامس : أنه يحييهم بعد موتهم ، وهو على قول من قال : هو الجهاد ، لأن الشهداء

أحياء ، ولأن الجهاد يُعزهم بعد ذلهم : فكأنما صاروا به أحياء .

[انظر زاد المسير ج٣/٣٣٩]

قوله :﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾.

أولاً : قال القاسمي : يحتمل وجوهاً من المعاني :

أحدهما : أنه تعالى يملك على المرء قلبه ، فيصرفه كيف يشاء فيحول بينه وبين الكفر إن أراد هدايته ، وبينه وبين الإيمان إن أراد ضلالته .

وهذا المعنى رواه الحاكم في مستدركه عن ابن عباس وصححه .

ويؤيده ما روي أن النبي ﷺ كان يكثر أن يقول :

«يا مُقلّب القلوب ثبتْ قلبي على دينك» . [رواه أحمد والترمذي وحسنه]

«إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن ، كقلب واحد ، يصرفها كيف يشاء ، ثم قال رسول الله ﷺ :

«اللهم مُصرّف القلوب ، صرّف قلوبنا إلى طاعتك» . [رواه مسلم]

ثانيها : أنه حث على المبادرة إلى الطاعة قبل حلول المنية .

فمعنى﴿**يحول بين المرء وقلبه**﴾يميته فتفوته الفرصة التي هو واجدها ، وهي التمكن من إخلاص القلب ، ومعالجة أدوائه وعلله ، ورده سليماً كما يريده الله ، فاغتنموا هذه الفرصة ، وأخلصوها لطاعة الله ورسوله ، فشبه الموت بالحيلولة بين المرء وقلبه الذي به يعقل في عدم التمكن من علم ما ينفعه علمه . [انظر تفسير القاسمي محاسن التأويل ٨/٣٥]

أقول : وفي الحديث دلالة على إثبات الأصابع للرحمن على ما يليق به تعالى من غير تشبيه ولا تمثيل ، ومثلها اليدين ، والساق ، والقدم ، والوجه ، وغيرها من الصفات الثابته في الكتاب والسنة .

١ ـ ﴿ **يحول بين المرء وقلبه** ﴾ يحول بين المؤمن وبين الكفر ، وبين الكافر والإيمان .

[مروي عن ابن عباس]

٢ ـ يحول بين المؤمن وبين معصيته ، وبين الكافر وبين طاعته . [رواه العوفي عن ابن عباس]

٣ ـ يحول بين المرء وقلبه حتى لا يتركه يعقل . [قاله مجاهد]

قال ابن الأنباري : المعنى : يحول بين المرء وعقله ، فبادروا الأعمال ، فإنكم لا تأمنون زوال العقول ، فتحصلون على ما قدمتم .

٤ - أن المعنى : هو قريب من المرء لا يخفى عليه شيء من سره . [قاله قتادة]

٥ - يحول بين المرء وقلبه ، فلا يستطيع إيمانا ولا كفراً إلا بإذنه . [قاله السدي]

٦ - يحول بين المرء وقلبه: يحول بين المرء وبين هواه [ذكره ابن قتيبة]

٧ - يحول بين المرء وبين ما يتمنى بقلبه من طول العمر والنصر وغيره .

٨ - يحول بين المرء وقلبه بالموت ، فبادروا بالأعمال قبل وقوعه .

٩ - يحول بين المرء وقلبه بعلمه ، فلا يضمر العبد شيئاً في مفسدة إلا والله عالم به لا يقدر على تغييبه عنه .

١٠ - يحول بين ما يوقعه في قلبه من خوف أو أمن ، فيأمن بعد خوفه ، ويخاف بعد أمنه .

[زاد المسير ٣/ ٣٤٠]

ثانياً : وقال الطبري بعد أن ذكر أقوالاً شبيهة بما تقدم :

إن الله عمَّ بقوله : ﴿ **واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه** ﴾ الخبر عن أنه يحول بين العبد وقلبه ، ولم يخصص من المعاني التي ذكرنا شيئاً دون شيء ، والكلام محتمل كل هذه المعاني ، فالخبر على العموم حتى يخصه ما يجب التسليم له .

من فوائد الآية

١ - وجوب الاستجابة لنداء الله تعالى ، ورسوله ﷺ ، بفعل المأمور به ، وترك المنهي عنه ، لما فيه حياة الفرد المسلم ، وحياة المجتمع .

٢ - ومما يساعد على الحياة السعيدة للفرد والمجتمع الجهاد في سبيل الله ، لأن الجهاد يعزهم فكأنما صاروا به أحياء .

٣ - على المسلم العاقل أن يبادر إلى العمل الصالح قبل مرضه أو موته .



ضعف الخلق وقوة الخالق

قال الله تعـالى : ﴿ **يا معشر الجن والإنس إن استـطعتم أن تنفُـذوا من أقطار السموات والأرض فانفُذوا لا تنفذون إلا بسلطان** ﴾ . [الرحمن ٣٣]

١ ـ «أي لا تستطيعون هرباً من أمر الله وقدره ، بل هو محيط بكم لا تقدرون على التخلص من حكمـه ، ولا النفوذ عن حكمه فيكم ، أينما ذهبتم أُحيط بكم ، وهذا في مقام الحشر : الملائكة محدقة بالخلائق سبع صفوف من كل جانب ، فلا يقدر أحد على الذهاب .

﴿ **إلا بسلطان** ﴾ : أي إلا بأمر الله :

﴿ **يقول الإنسان يومئذ أين المفر؟ كلا لا وزَرَ إلى ربك يومَئذ المُستَقر** ﴾ [القيامة ١٠-١٣]

وقال تعالى : ﴿ **والذين كسبوا السيئات جزاءُ سيئةٍ بمثلِها وترهقُهم ذِلّة ما لهم من الله من عاصم كأنما أُغشِيتْ وجوهُهم قِطَعاً من الليل مُظلماً أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ . [يونس ٢٧]

ولهذا قال تعالى : ﴿ **يُرسَلُ عليكما شُواظ من نارٍ ونحاسٌ فلا تنتصِران** ﴾ . [الرحمن ٣٦]

والمعنى على كل قول : لو ذهبتم هاربـين يوم القيامـة لردتكم الملائكة والزبانية بإرسال اللهب من النار والنحاس المذاب عليكم لِترجعوا ، ولهذا قال :

﴿ **فلا تنتصران . فبأيِّ آلاء ربكما تكذبان؟** ﴾ . [انظر تفسير ابن كثيرج٤/ ٢٧٤]

٢ ـ وقال القاسمي في تفسير الآية :

(**يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض**)

أي تجوزوا أطراف السموات والأرض فتُعجزوا ربكم ، أي بخروجكم عن قهره ، ومحل سلطانه ومملكته ، حتى لا يقدر عليكم .

(**فانفذوا**) أي فجُوزوا واخرجوا .

﴿ **لا تنفذون إلا بسلطان** ﴾: أي بقوة وقهر وغلبة ، وأنى لكم ذلك ؟

ونحوه : ﴿ **وما أنتم بمعجزين في الأرض ، ولا في السماء** ﴾ . [العنكبوت ٢٢]

٣ ـ ويقال معنى الآية : إن استطعتم أن تعلموا ما في السموات والأرض فاعلموه ، ولن تعلموه إلا بسلطان ، يعني البينة من الله تعالى .

والأول أظهر ، لأنه لما ذكر في الآية الأولى أنه لا محالة مجازٍ للعباد عَقَّبه بقوله : ﴿ **إن استطعتم** . . . ﴾ إلخ لبيان أنهم لا يقدرون على الخلاص من جزائه وعقابه إذا أراده .

﴿ **فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾ . [الرحمن ٣٤]

١ ـ قال ابن جرير : أي من التسوية بين جميعكم ، بأن جميعكم لا يقدرون على خلاف أمر أراده بكم .

٢ ـ وقال القاضي : فإن التهديد لطف ، والتمييز بين المطيع والعاصي بالجزاء والانتقام من الكفار من عِداد الآلاء (النِعم) . [تفسير القاسمي ج١٥/ ٢٩٢ ـ ٢٩٥]

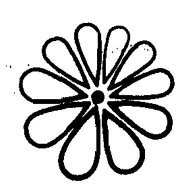
من فوائد الآية

١ ـ بيان جلال الله وقدرته وسلطانه .

٢ ـ بيان عجز الخلق أمام خالقه عز وجل في الدنيا والآخرة .

٣ ـ جميع الخلق لا يقدرون على خلاف أمر أراده الله بهم .

٤ ـ تقرير عقيدة الإيمان بالبعث والجزاء .



معاني فواتح السور

قال الله تعالى : ﴿ الٓمٓ ﴾ ﴿ الٓر ﴾ ﴿ الٓمٓصٓ ﴾ ﴿ حمٓ ﴾ ﴿ عٓسٓقٓ ﴾ ﴿ نٓ ﴾ .

اختلف المفسرون في معنى هذه الحروف ، فمنهم من قال :

١ ـ هي مما استأثر الله بعلمه ولم يفسرها .

٢ ـ هي أسماء للسور ، واستدلوا على ذلك بالحديث :

أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة ﴿ الٓمٓ ﴾ السجدة و ﴿ هل أتى على الإنسان ﴾ . [متفق عليه]

وقال مجاهد : ﴿ الٓمٓ ﴾ ، ﴿ حمٓ ﴾ ، ﴿ الٓمٓصٓ ﴾ ، ﴿ صٓ ﴾ :

فواتح افتتح الله بها القرآن (أي أسماء سوره) .

٣ ـ وقال آخرون : إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور بياناً لإعجاز القرآن ، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله هذا ، مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها .

وحكى هذا القول جمع من المحققين منهم : الرازي ، والقرطبي ، وإليه ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية ، والحافظ المزي .

قال الزمخشري : ولم ترد كلها مجموعة في أول القرآن ؛ وإنما كررت ليكون أبلغ في التحدي والتبكيت ، كما كررت قصص كثيرة ، وكرر التحدي بالصريح في أماكن ، وجاء منها على حرف واحد كقوله : ﴿ صٓ ﴾ ﴿ نٓ ﴾ ﴿ قٓ ﴾ وحرفين مثل : ﴿ حمٓ ﴾ ، وثلاثة مثل : ﴿ الٓمٓ ﴾ ، وأربعة مثل : ﴿ الٓمٓر ﴾ ﴿ الٓمٓصٓ ﴾ ، وخمسة مثل : ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ ﴿ حمٓ عٓسٓقٓ ﴾ لأن أساليبهم على هذا من الكلمات ما هو على حرف ، وعلى حرفين ، وعلى ثلاثة ، وعلى أربعة ، وعلى خمسة ، لا أكثر من ذلك . [انظر تفسير ابن كثير ج١ / ٦٠]

قال ابن كثير : ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف ، فلابد أن يذكر فيها الانتصار

للقـرآن وبيان إعجـازه وعظمته ، وهذا معلوم بالاستقراء ، وهو الواقع في تسع وعشرين سورة .

ولهذا يقول تعالى : ﴿ الٓمٓ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ . [البقرة ١]

﴿ حمٓ تنزيلٌ مِن الرحمن الرحيم ﴾ . [سورة فصلت ١]

﴿ الٓمٓصٓ كتابٌ أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرجٌ منه ﴾ . [أول سورة الأعراف]

٤ ـ وأما من زعم أنها دالة على معرفة المُدَدَ ، وأنه يستخرج من ذلك أوقات الحوادث والفتن والملاحم فقد ادعى ما ليس له ، وطار في غير مطاره .

٥ ـ لا شك أن الله لم ينزلها سبحانه وتعالى عبثاً ولا سُدى ؛ ومن قال من الجهلة أن في القرآن ما هو تعبد لا معنى له ، فقد أخطأ خطأً كبيراً ، فتعين أن لها معنى في نفس الأمـر ، فإن صح لنا عن المعصوم شيء قلنا به ، وإلا وقفنا حيث وقفنا وقلنا :

﴿ آمنا به كلٌ من عند ربنا ﴾ . [البقرة]

ولم يُجمع العلماء فيها على شيء معين ، وإنما اختلفوا ، فمن ظهر له بعض الأقوال بدليل فعليه اتباعه وإلا فالوقف حتى يتبين هذا المقام . [تفسير ابن كثير ج/٣٦١

٦ـ والصحيح أنها سيقت للتحدي : فكأن المعنى ألف، ولام، وميم أحرف ليست بغريبة عليكم معشر العرب أهل الفصاحة والبلاغة والدليل على صحة هذا القول : أن الله تعالى ذكر عقب هذه الجروف كتابه العزيز :

أ : ﴿ الٓمٓ : ذٰلكَ الكتَـابُ لا رَيْبَ فيه ﴾ . [البقرة ١]

ب: ﴿ الٓمٓصٓ : كـــتَـابٌ أُنْزِلَ إلَـيْـكَ ﴾ . [الأعراف ١]

جـ: ﴿ الٓر : تلكَ آياتُ الكتَاب الحَكيم ﴾ . [يونس ١]

د : ﴿ الٓر : كتَابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ من لَدُن حكيم خَبير ﴾ . [هود ١]





كيف نلفظ هذه الحروف

يجب أن نلفظ الحروف التي في أوائل السورة مقطعة حرفاً حرفاً . لقول رسول الله ﷺ :
«مَن قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول (ألم) حرف ، ولكن : ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف» . [صحيح رواه الترمذي وغيره]

١ ـ قوله تعالى : ﴿ الٓمٓ ﴾ ألف ، لام ، ميم . [أول سورة البقرة]

٢ ـ قوله تعالى : ﴿ الٓمٓر ﴾ ألف ، لام ، ميم ، را . [سورة الرعد]

٣ ـ قوله تعالى : ﴿ الٓمٓصٓ ﴾ ألف ، لام ، ميم ، صاد . [الأعراف]

٤ ـ قوله تعالى : ﴿ الٓر ﴾ ألف ، لام ، را . [سورة يوسف]

٥ ـ قوله تعالى : ﴿ حمٓ ﴾ ﴿ طسٓ ﴾ حا ، ميم ، طا ، سين . [غافر والنمل]

٦ ـ قوله تعالى : ﴿ نٓ ﴾ ﴿ قٓ ﴾ ﴿ صٓ ﴾ نون ، قاف ، صاد . [أسماؤها]

٧ ـ قوله تعالى : ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ كاف ، ها ، يا ، عين ، صاد . [مريم]

٨ ـ قوله تعالى : ﴿ حمٓ . عٓسٓقٓ ﴾ حا ، ميم ، عين ، سين ، قاف . [الشورى]

٩ ـ بعض هذه الحروف تمد حركتين مثل : حا ، ها ، يا ، را .

١٠ ـ وبعض الحروف تُمد أكثر مثل : نون ، قاف ، صاد ، ميم ، عين .

١١ ـ يُعرف التلفظ بالحروف بالسماع من القراء والمشايخ .



الخسارة للكافرين والفوز للمؤمنين

قال الله تعالى : ﴿ **والعصر * إن الإنسان لفي خُسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصَوا بالحق وتواصَوا بالصبر** ﴾ . [سورة العصر]

العصر : الزمان الذي يقع فيه حركات بني آدم من خير وشر .

وقال مالك عن زيد بن أسلم هو العصر ، والمشهور الأول .

فأقسم تعالى بذلك على أن الإنسان لفي خسر أي في خسارة وهلاك .

﴿ **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ فاستثنى من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم ، وعملوا الصالحات بجوارحهم .

﴿ **وتواصَوا بالحق** ﴾ وهو أداء الطاعات وترك المحرمات .

﴿ **وتواصوا بالصبر** ﴾ أي على المصائب والأقدار وأذى من يؤذي ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر [انظر تفسير ابن كثير ج٤/٥٤٧]

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : لو تدبر الناس هذه السورة لكفتهم .

وذلك لما فيها من المراتب العالية التي باستكمالها يحصل للمسلم غاية كماله :

الأولى : معرفة الحق ، والثانية : عمله به ، والثالثة : تعليمه من لا يحسنه ، والرابعة : صبره على تعلمه والعمل به وتعليمه .



من فوائد السورة

١ ـ فضل سورة العصر لاشتمالها على طريق النجاة .

٢ ـ لله أن يقسم بما شاء لأنه الخالق له .

٣ ـ لا يجوز الحلف بغير الله للعباد لقوله ﷺ :

أ ـ **«من حلف بغير الله فقد أشرك»** . [صحيح رواه أحمد]

ب ـ **«لا تحلفوا بآبائكم ، من حلف بالله فلْيَصدق ، ومن حُلِف له فلْيرضَ ، ومن لم يرض بالله فليس من الله»** . [صحيح رواه ابن ماجه]

ج ـ وقال عبدالله بن مسعود :

«لأن أحلف بالله كاذباً خير من أن أحلف بغيره صادقاً» .

٤ ـ بيان مصير الإنسان الكافر ، وأنه في خسران .

٥ ـ بيان فوز أهل الإيمان والعمل الصالح الموافق للشرع .

٦ ـ الإيمان : قول وعمل ، يزيد بالطاعات ، وينقص بالمعاصي .

٧ ـ وجوب التواصي بالحق ، والتواصي بالصبر بين المسلمين .

٨ ـ وجوب الصلاة مع الجماعة ، ولا سيما صلاة العصر ، لقول الله تعالى :

﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ﴾ . [البقرة ٢٣٨]

[والصلاة الوسطى : هي صلاة العصر] .

٩ ـ الزمن له قيمة عند المسلم ، فيقضيه بطاعة الله .



الوقف اللازم في القرآن

تعريفه: هو الوقف على كلام تام، لو وُصِل بما بعده لأوهم وصله معنى غير المراد.
حكمه: يلزم الوقف عليه، والابتداء بما بعده، لذلك سُميَ لازمًا.
علامته: (مـ) ترسم فوق آخر حرف من الكلمة التي ينبغي الوقف عليها، ومن أمثلته: قول الله تعالى:

١ ـ ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ ﴾ [يونس ٦٥]

فالوقف على ﴿ قَوْلُهُمْ ﴾: [أي الكافرون] واجب، لأنه لو وُصِل بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ ﴾ لأوهم أن هذه الجملة من قول الكافرين، وليس كذلك؛ بل هي من قول الله تعالى:

٢ ـ ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ ﴾ [القمر ٦]

فالوقف على ﴿ عَنْهُمْ ﴾ واجب، لأنه لو وصل بقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ ﴾ لأوهم أن قوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ أعرِضْ عن المشركين في الدنيا؛ لأن قوله: ﴿ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ ﴾: أي إسرافيل يوم القيامة.

٣ ـ ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ .. وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ ﴾

[البقرة ٢٦]

فالوقف على ﴿ مَثَلًا ﴾ الأخيرة واجب، لئلا يوهم أن قوله تعالى: ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ ﴾ [أي: مثال البعوضة] من قول الكفار، بل هو من قول الله تعالى.

٤ ـ ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ ﴾ [النساء ١١٧ ـ ١١٨]

فالوقف على قول الله تعالى: ﴿ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ﴾ لازم لئلا يوهم أن قوله: ﴿ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ ﴾ من قول الله، بل هو من قول الشيطان يحكيه الله عنه.

٥ ـ ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ .. سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ ﴾ [النساء ١٧١]

فالوقف على قوله ﴿ وَلَدٌ ﴾ لازم، لئلا يوهم أن قول الله تعالى: ﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾، هي ملك (للولد)، بل هي ملك لله تعالى.

٦ ـ ﴿ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [العنكبوت ٢٦]

فالوقف على كلمة ﴿لُوطٌ ۘ﴾ لازم، لئلا يوهم أن قوله: ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾ هو من قول ﴿لُوطٌ ۘ﴾، بل هو من قول إبراهيم عليه السلام، بدليل مابعدها، وهي قول الله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ وهما من أولاد إبراهيم.

٧ ـ ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [الأعراف ١٤٨]

فالوقف على ﴿سَبِيلًا ۘ﴾ لازم لئلا يوهم أن قوم موسى اتخذوا السبيل له بل اتخذوا العجل معبودًا لهم.

٨ ـ ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ . . ﴾ [المائدة ٦٤]

فالوقف على كلمة ﴿ قَالُوا۟ ۘ﴾ لازم لئلا يوهم أن قوله تعالى:

﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ . . ﴾ من قول اليهود بل هي من قول الله تعالى.

٩ ـ ﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ . . ﴾ [الأنعام ١٢٤]

فالوقف على كلمة ﴿ ٱللَّهِ ۘ﴾ لازم لئلا يوهم أن قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ ﴾ من كلام الكفرة، بل هي من قول الله تعالى.

١٠ ـ ﴿ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأنعام ٣٦]

فالوقف على ﴿ يَسْمَعُونَ ۘ﴾ لازم، لئلا يوهم الوصل أن الموتى يسمعون.

١١ ـ ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ . . ﴾ [القصص ٨٨]

فالوقف على ﴿ ءَاخَرَ ۘ﴾ لازم، لئلا يوهم أن الإله الآخر، لا شريك له.

١٢ ـ ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ . . ﴾ [هود ٢٠]

فالوقف على ﴿ أَوْلِيَآءَ ۘ﴾ لازم، لئلا يوهم أن ﴿ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ للأولياء، بل هو للكفار المشار إليهم بقوله ﴿ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ . . ﴾.

١٣ ـ ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [يس ٧٦]

فالوقف على ﴿ قَوْلُهُمْ ۘ﴾ لازم، لئلا يوهم أن قوله:

﴿ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ من كلام الكفار، بل هو من قول الله تعالى.

☆☆☆

السكتات في القرآن

تعريفه: هو قطع الصوت زمنًا دون زمن الوقف عادة من غير تنفس مع قصد القراءة.
علامته: (س) صغيرة ترسم فوق آخر حرف من الكلمة المراد السكت عليها.
حكمه: يلزم السكت عليه وذلك مقيد بالسماع فلا يجوز إلا فيما ثبت فيه النقل، وصحت به الرواية كما ذكر الإمام ابن الجزري هذا، وإن مواضع الوقف قد تختلف بين القراءات العشر كما تجده في مظانه في كتب القراءات.

[وانظر هداية القاري إلى تجويد كلام الباري لعبدالفتاح المرصفي ج١/ ص٤٠٧ وما بعدها]

وفيما يلي نورد المواضع التي سكت عليها «حفص» فقط وهي ستة:

١ ـ الألف المبدلة من التنوين في ﴿عِوَجَاۜ﴾ من قول الله تعالى في سورة الكهف: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١﴾. وحكمة السكت في ﴿عِوَجَاۜ﴾ إيضاح المعنى، ودفع توهم أن ﴿قَيِّمًا﴾ صفة ﴿عِوَجَاۜ﴾ وهي ليست كذلك، وإنما هو حال من الكتاب، أو منصوب بفعل مضمر؛ أي جعله قيِّما.

٢ ـ ألف ﴿مَّرْقَدِنَاۜ﴾ من قوله تعالى في سورة يٓس ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ هَٰذَا﴾ وحكمة السكت في ﴿مَّرْقَدِنَاۜ﴾ دفع توهم أن اسم الإشارة ﴿هَٰذَا﴾ صفة ﴿مَّرْقَدِنَاۜ﴾ وإنما هو مبتدأ.

٣ ـ نون ﴿مَنْۜ﴾ من قوله تعالى في سورة القيامة ﴿وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ﴾. وحكمة السكت عليها، الإشعار بأنهما كلمتان، وليس اللفظ كلمة واحدة على وزن فعّال صيغة مبالغة.

٤ ـ لام ﴿بَلْۜ﴾ من قوله تعالى في سورة المطففين ﴿بَلْۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾. يقال فيها مثل ما قيل في ﴿مَنْۜ رَاقٍ﴾.

٥ ـ الهاء في ﴿مَالِيَهْۜ﴾ في سورة الحاقة من قوله تعالى: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ۝٢٩﴾ في حال الوصل.

٦ ـ السكت بين سورتي الأنفال وبراءة، وقد شاركه فيها بقية القراء العشر في وجه لهم.

[أحكام القرآن الكريم للشيخ محمود الحصري ص ٢٦١ وما بعدها بتعليق محمد منيار (بتصرف)].

تنبيه: ذكرنا فيما مضى مواضع السكت في القرآن الكريم معتمدين في ذلك على أهل هذا الفن، ملفتين النظر في بعض المواضع إلى الحكمة المعنوية من هذا السكت. وكنا أشرنا إلى أنَّ مواضع السكت توقيفية لا مجال للاجتهاد فيها بخلاف بقية

علامات الوقف والوصل بأنواعها، فإنها اجتهادية لذلك قد ترى في بعض المواضع أنَّ الوصل أولى من الوقف والعكس صحيح، وتكون العلامة في المصحف مخالفة لما رأيت. وإذا تأملت مواضع الوقف اللازم وجدْتَ بعضا منها غير لازم الوقوف، ولا يختلُّ المعنى بالوصل.

والذي يهمنا هنا أن نشير إلى أن السكت توقيفي لا يلزم منه وجود حكمة معنوية دائمًا وفي كل موضع. وأكبر دليل على هذا هو السكت على ﴿مَنْ﴾ في قوله تعالى ﴿مَنْ رَاقٍ﴾ وقد عللنا لك ذلك في موضعه، غير أن جميع القراء يدغمون النون في الراء فتلفظ ﴿مَرَّاق﴾ إلا حفصاً فإنه يسكت.

ثم ما الحكمة المعنوية من السكت على هاء ﴿مَالِيَه﴾، خاصة إذا عُلِمَ أن ثمة وجهًا آخر لحفص هو إدغامها في هاء ﴿هَلَكَ﴾ لأنهما مثلان؟!.

الله خالق وليس بمخلوق

١ ـ قال الله تعالى:

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحشر ٥٩].

٢ ـ إذا وسوس الشيطان بقوله: من خلق الله؟ وعلمنا الرسول ﷺ أن نرد كيد الشيطان ونقول:

«آمنتُ بالله ورسُلِه، اللهُ أحد، الله الصمدَ، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كُفوًا أحد؛ ثم لْيتفل عَن يساره ثلاثًا وليستعذ بالله من الشيطان، ولْينته، فإن ذلك يذهب عنه» [هذه خلاصة الأحاديث الواردة في البخاري ومسلم وغيره].

٣ ـ يجب القول بأن الله خالق، وليس بمخلوق وقال عمرو بن دينار:

أدركت الناس منذ سبعين سنة يقولون: الله الخالق، وليس بمخلوق، وما سواه مخلوق، إلا القرآن فإنه غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود:

[منه بدأ: أي هو المتكلم به] وهذا قول الإمام أحمد.

٤ ـ قال شيخ الإسلام: القول في الصفات كالقول في الذات، فإذا كان الله غير مخلوق فيقال في القرآن الذي هو كلامه. وهو من صفاته ـ أنه غير مخلوق ـ.

٥ ـ القرآن كلام الله غير مخلوق، لأن كلامه من صفاته وصفاته تابعة له غير مخلوقه.
٦ ـ وأما قول الله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الزخرف ٣].
قال ابن كثير والطبري: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ ﴾ أي أنزلناه.
١ ـ القرآن الكريم: هو معجزة النبي ﷺ وتحدى بها العرب أهل اللغة على أن يأتوا بآية من مثله فلم يقدروا.
﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾.
﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾.
٢ ـ والقرآن منزل من عند الله أكمله الله تعالى فهو صالح لكل زمان ومكان، وبه تنجو البشرية من شقائها.
٣ ـ تعريف القرآن: هو كلام الله المنزل على محمد ﷺ المتعبد بتلاوته.
أ ـ كلام الله: يخرج كلام البشر أو الجن أو الملائكة أو غيرهم.
ب ـ المنزل من عند الله: يخرج كلام الله الذي استأثر به عنده وفي الحديث:
«أو استأثرت به في علم الغيب عندك».
جـ ـ على محمد: يخرج ما أنزله الله على الأنبياء قبله كالتوراه والإنجيل وغيرهما.
د ـ المتعبد بتلاوته: يخرج الحديث القدسي، لأن معنى التعبد بتلاوته: أي بقراءته في الصلاة وغيرها على وجه العبادة وليس الحديث القدسي كذلك لا يقرأ في الصلاة.
وهذا التفسير يفيد أن القرآن منزل من عند الله وليس بمخلوق.

الفرق بين القرآن والحديث القدسي

١ ـ القرآن: تحدى الله به العرب، ولم يقع التحدي بالأحاديث القدسيه.
٢ ـ القرآن: منقول بالتواتر، والأحاديث القدسيه خبر آحاد.
٣ ـ القرآن: لفظه ومعناه من الله تعالى، والحديث القدسي معناه من الله، ولفظه من الرسول.
مثال: قول الله تعالى:
« يا عبادي إني حَرَّمتُ الظلم على نفسي، وجعلته بينكم مُحرَّماً فلا تَظَالموا ».
[رواه مسلم]



محتويات
كيف تفهم القرآن


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

اقرأ سلسلة التوجيهات للمؤلف . .

١ ـ توجيهات إسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع .
٢ ـ أركان الإسلام والإيمان .
٣ ـ منهاج الفرقة الناجية والطائفة المنصورة .
٤ ـ العقيدة الإسلامية من الكتاب والسنة الصحيحة .
٥ ـ قطوف من الشمائل المحمدية ، والأخلاق النبوية ، والآداب الإسلامية .
٦ ـ حكم الإسلام في التدخين .
٧ ـ تنبيهات على (صفوة التفاسير) .
٨ ـ معلومات مهمة من الدين .
٩ ـ مجموعة رسائل التوجيهات الإسلامية .
١٠ ـ كيف نفهم القرآن الكريم .
١١ ـ تنبيهات مهمة على قرة العينين وتفسير الجلالين .
١٢ ـ كيف نربي أولادنا ؟ .
١٣ ـ صفة حجة النبي .
١٤ ـ توجيه المسلمين إلى طريق النصر والتمكين .
١٥ ـ معجزة الإسراء والمعراج .

ملاحظة : إن بعض هذه الكتب توزع مجاناً بنفقة أهل الخير وبعضها تطبع بنفقة المكتبات ، وتباع لتنتشر . ومن له ملاحظة على الكتب فليخبر المؤلف مشكوراً .



واجبنا نحو القرآن الكريم

١ـ أن نتلوه حق تلاوته: قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: والَّذي نفسي بيده: إنَّ حق تلاوته أن يُحِلَّ حلاله، ويُحرِّم حرامه، ويقرأه كما أنزله الله، ولا يُحَرِّف الكلم عن مواضعه، ولا يتأوَّل منه شيئًا على غير تأويله.

[أي لا يُفسره على غير تفسيره: كأن يُفسِّر استوىٰ بمعنى استولىٰ].

٢ـ أن نفهم القرآن كما فهمه الرسول ﷺ وصحابته والسلف الصالح، وحسبما بيَّنه الرسول ﷺ بقوله أو فعله، فلا نُقدِّم قولاً أو فعلاً على قوله أو فعله، لقول الله تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ «الحجرات: ١»

وعلينا أن نأخذ بكلام الرسول ﷺ عملاً بقوله تعالىٰ:

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ «الحشر: ٧»

٣ـ أن نعمل به، ونحتكم إليه، ونرضىٰ بحكمه، لأنَّه يحكم بالعدل، وهو الكتاب الموافق لكل زمان ومكان، يكفل السعادة في الدنيا والآخرة للنَّاس أجمعين، قال الله تعالىٰ: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ ﴾ «إبراهيم: ١»

وقال ﷺ: **(اقرأوا القرآن واعملوا به ولا تأكلوا به)** [صحيح رواه أحمد]

٤ـ علينا أن نهتدي بهدي القرآن لأنَّه يوصل للسعادة الدائمة، قال الله تعالىٰ:

﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ «سورة الإسراء: ٩»

٥ـ علينا أن نتخلق بأخلاق القرآن، فقد كان رسول الله ﷺ خُلُقه القرآن: يطبقه على نفسه وصحابته: يُحل حلاله، ويُحرِّم حرامه:

يُحلُّ الطيبات ويحرِّم الخبائث، يُحل دعاء الله وحده، ويحرِّم دعاء غير الله من الأموات أو الغائبين، قال الله تعالىٰ يخاطب رسوله:

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾ «سورة الجن»

٦ـ التحاكم إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ؛ لأنَّها شارحةٌ لكتاب الله تعالىٰ، كما قال جلَّ وعلا:

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ «النحل»

يوزع مجاناً على نفقة المحسنين

مطبعة دار المجمع العلمي
جدة - هاتف: ٦٦١٤٣٣٦